تنقيح القول في تفسير
قوله تعالى (وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى)

د. خلود "محمد أمين" محمود الحواري

أستاذ مساعد / تخصص التفسير وعلوم القرآن

كلية الآداب والعلوم الإنسانية - قسم الدراسات القرآنية

جامعة طيبة

تنقيح القول في تفسير قوله تعالى (وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى)

د. خلود "محمد أمين" محمود الحواري

ملخص البحث

يأتي هذا البحث بدراسة تفسير آية قد يشكل ظاهرها عند من قل علمه أو زاغ قلبه، وهي قوله تعالى في سورة الضحى ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾؛ حتى أني وجدت من يزعم أن هذه الآية تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان على دين قومه قبل البعثة، مستندين على أقوال لا ينهض بها دليل، ولا تقوم على دعامة، وقد تتبعت أقوال العلماء في تفسير هذه الآية التي ربت على عشرين قولا، مبينة المقبول من المردود بعرضها على ثلاثة أسس رئيسة هي: السيرة النبوية الصحيحة، وسبب نزول السورة، والسياق القرآني الذي جاءت به الآية، فبان بطلان القول الأفسد في هذا المقام،والفرية الكبرى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه من الكفر، وكذا رُدّت الأقوال التي تعارضت مع الأسس الثلاثة السابقة، وخلصت إلى القول إن التفسير المقبول للفظ الضلال في الآية الكريمة هو عدم العلم، أو الغفلة المراد بها عدم العلم، والمعنى: ووجدك غير عالم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلّم لم يكن يعلم شيئاً من معالم النبوة وتفصيل الشريعة قبل أن ينزل عليه الوحي، فهدي إليها. وهذا التفسير منسجم مع مقام النبوة، ومتسق من حيث المعنى ويؤيده السياق، وهو ما عليه جلّ العلماء والمفسرين من المتقدمين والمتأخرين. و يحتمل أن يكون المعنى: وجدتك لا أحد على دينك؛ فهديت بك الخلق إليّ؛ لأن العرب كانت إذا وجدت شجرة منفردة في فلاة من الأرض لا شجر معها سموها ضالة، فيهتدى بها على الطريق؛ فكأنه صلى الله عليه وسلم شجرة وحيدة في الصحراء؛ وحيدا في دربه، متميزا عن سائر أقرانه ومحيطه، حتى أوحي إليه بالنبوة، فكان قبل وبعد علما على الهدى والرشاد. والله تعالى أعلم.

Abstract

In this research I studied the interpretation of a Quranic verse that may be problematic for people who have no knowledge or for people with estranged hearts. The verse is (And He found you lost and guided [you],) in Al-douha. Even I found that some people claimed that the prophet Mohammed was on his people's religion before he had been sent as a messenger, they based this opinion on false evidences therefore, I traced more than twenty opinions of scholars about this verse clarifying what is accepted from what is rejected by referring this to the purpose of the verse, and the quranic context as well as Al-sera. All this showed that this claim was false with no evidence at all. I concluded, that the accepted explanation of (lost) is shortage of knowledge, this means (found you with no knowledge) since the prophet Mohammed didn't know anything about Islam in that period. This explanation goes with the nature of prophecy and goes with the meaning. Moreover, scholars in old times and recently agreed on this explanation, the meaning may be: I found no one adopting your religion so I drove all Arabs for you since the Arabs consider any single tree as a guide for (lost) and thus the prophet in the beginning of his prophecy, so he drove people from the darkness of Jahilia to the wide perspective of Islam.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الذي أنزل الكتاب قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل: ٨٩)، وجعل ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (آل عمران:٧)، والصلاة والسلام على ﴿ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ ﴾(الأعراف:١٥٨)، أخرج به الناس من الظلمات إلى النور،وعلى آله و صحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين،أما بعد:

فقد أرسل الله تعالى رسوله بالحق المبين، والوحي المكين قال سبحانه وتعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾ (سورة النجم ٢- ٥)، لكن أصحاب الزيغ والهوى الذين ﴿ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ (الأحزاب: ٥٧) ما برحوا – قديما وحديثا- ﴿ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ ﴾ (التوبة:٦١) صلى الله عليه وسلم، بأساليب خبيثة، تنوعت بمرور الأيام، واختلفت باختلاف الزمان، وكان منها البحث في آيات النظم الكريم التي قد يوهم ظاهرها إشكالا، معتمدين على تحريف نصوص العلماء تارة، وعلى آراء شاذة لبعضهم تارة أخرى، ومن هذه الآيات قول الحق تبارك وتعالى في سورة الضحى مخاطبا نبيه ورسوله ممتنا عليه:﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾(الضحى:٧)؛ فبنوا على ظاهرها بناء فاسدا بغير أساس، وقالوا قولا عظيما بغير علم؛ بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل بعثته على دين قومه.

من ذلك مانقله رحمت الله الهندي في الشبهة الرابعة القول: "أنه وقع في القرآن أن محمداً (صلى اللّه عليه وسلم) كان في الابتداء في الجهل والضلالة كقوله في سورة الضحى: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾[١]".

وكذا استدلت الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في لايدن بهولاندا بالآية الكريمة في إثبات دعوى ضلاله قبل البعثة [٢].

ومنها ما جاء في دائرة المعارف البريطانية:" كيف تزعمون أن محمدا (اصطفاه الله للرسالة وهيئه، مع وصفه له بالضلال،فهو كقومه كان وثنيا، ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾". [٣]

وقد ذكر الباحثون رد ذلك بإيجاز تمثل بنقلهم لآراء المفسرين صحيحها وسقيمها، سمينها وغثها، مما أبقى الفرصة قائمة لمن أراد أن يطعن عليهم لنقلهم أقوالا لا يسندها دليل؛ بل تخالفها السيرة الثابتة[٤].

ولذا وددت تنقيح أقوال العلماء التي تكاثرت حول هذه الآية،وميز صحيحها من فاسدها؛ مما يحق الحق ويرد الشبهة.

أهمية الدراسة: تنبع أهمية هذه الدراسة من كونها تتصل بكتاب الله تعالى، وتبين معنى آية من آياته أشكل ظاهرها حتى اتخذ مدخلا للطعن في النبي صلى الله عليه وسلم، وترد الطعن على قائله،وتبين عوار الأقوال المتكاثرة حولها،اعتمادا على السياق وسبب النزول وصحيح السنة والسيرة النبوية الشريفة.

مشكلة الدراسة: يمكن تلخيص مشكلة الدراسة بالأسئلة التالية:

كيف فسر العلماء قول الله تبارك وتعالى ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ ؟ وما هي الأسس التي اعتمدوها عند تفسيرهم؟ وهل جاءت هذه التفاسير متفقة ومراعية لمقام

النبوة؟ وما هي أبرز الأمور التي جعلت قول بعض العلماء ينحرف عن جادة الصواب عند تفسيره لهذه الآية؟ وهل كانت أحداث السيرة النبوية حاضرة في عقول العلماء عند تفسير هذه الآية؟ وهل كان سبب نزول سورة الضحى حاضرا كذلك؟ وما هي أبرز أقوال المفسرين التي اتبعها الذين في قلوبهم زيغ ليطعنوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى جمع الأقوال في تفسير الآية، ومن ثم دراسة هذه الأقوال من حيث مستند القول، ومدى موافقته للغة وللسيرة النبوية ومقام النبوة وسبب نزول السورة، ثم بيان الآراء الصحيحة، والتبيه على الآراء الفاسدة التي قد اتخذ بعضها مستندا لمن في قلبه زيغ للقول بما لايليق بمقام نبوته صلى الله عليه وسلم.

منهج الدراسة:

اتبعت في البحث المنهج الاستقرائي وذلك بتتبع أقوال العلماء في معنى هذه الآية الكريمة، ومن ثم المنهج التحليلي للوقوف على قواعدهم التي اعتمدوها في اختياراتهم لمعنى دون آخر، ثم المنهج النقدي بإبراز القول المردود وبيان أسباب قبوله، والتنبيه على القول المردود وذكر سبب رده.

الدراسات السابقة:

لم أقف في حدود بحثي على من تناول هذه الآية الكريمة بالدراسة؛ فما وقفت عليه لا يعدو ذكر رأي المفسرين في الآية في تضاعيف تفاسيرهم دون تحريرها فضلا عن رد الشبه والمطاعن.

خطة الدراسة:

جاءت خطة الدراسة كما يلي:

المقدمة: و فيها أهمية الدراسة، ومشكلتها، وأهدافها، ومنهجها.

المبحث الأول: الأقوال المقبولة في تفسير الآية.

المبحث الثاني: الأقوال المردودة في تفسير الآية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

المبحث الأول: الأقوال المقبولة في تفسير الآية.

أولا: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ أي: (وجدك ضالاً) أي غير عالم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلّم لم يكن يعلم شيئاً من ومعالم النبوة وتفصيل الشريعة قبل أن ينزل عليه الوحي، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ [النساء: ١١٣]. وقال: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، بل هو من الأميين ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [الجمعة: ٢]. لا يقرأ ولا يكتب، لكن وصل إلى هذه الغاية العظيمة بالوحي الذي أنزله الله عليه، فعلم وعلَّم.

وهذا التفسير منسجم مع مقام النبوة، ومتسق من حيث المعنى ويؤيده السياق، وهذا القول هو الذي عليه جلّ العلماء والمفسرين من المتقدمين والمتأخرين، نصّا أو معنى، ففسروا الضلال بعدم العلم، أو بالغفلة المراد بها عدم العلم، وهو مصطلح استخدمه القرآن بحق النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى. فقال تعالى أول سورة يوسف ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن

قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ وقال في سورة هود ﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۛ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

وأما أبرز المفسرين والعلماء الذين اختاروا هذا القول فهم: الحسن(ت١١٠هـ)[٥] والضحّاك (ت بعد ١٠٠هـ) [٦] وشهر بن حوشب (ت في حدود ١١٢هـ)[٧] وابن كيسان (ت ٢٢٥هـ)[٨]، قالوا: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا ﴾ عن معالم النبوة، وأحكام الشريعة غافلا عنها، فهداك إليها، نظيره ودليله قوله سبحانه ﴿ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴾ وقوله تَعَالَىٰ:﴿ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ ﴾ [٩]. نقله عنهم الثعلبي.

قال ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ): (وكذلك قَالَ الله تَعَالَىٰ:﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ يريد ضالا عن تفاصيل الإيمان والإسلام وشرائعه، فهداك الله عز و جل. وكذلك قوله تَعَالَىٰ:﴿ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ ﴾ يريد ما كنت تدري ما القرآن ولا شرائع الإيمان/ ولم يرد الإيمان الذي هو الإقرار؛ لأن آباءه الذين ماتوا على الكفر والشرك كانوا يعرفون الله تعالى، ويؤمنون به، ويحجون له، ويتخذون آلهة من دونه يتقربون بها إليه تعالى، وتقربه فيما ذكروا منه، ويتوقون الظلم ويحذرون عواقبه، ويتحالفون على أن لا نبغي على أحد ولا نظلم، وقال عبد المطلب لملك الحبشة حين سأله حاجته فقال: إبل ذهبت لي؛ فعجّبه منه كيف لم يسأله الانصراف عن البيت. فقال: إن لهذا البيت من يمنع منه أو كما قال. فهؤلاء كانوا يقرون بالله تعالى ويؤمنون به، فكيف لا يكون الطيّب المطهّر قبل الوحي يؤمن به، وهذا لا يخفى على أحد ولا يذهب عليه...) [١٠]

وقال الطبري (ت ٣١٠هـ) قوله: (﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا ﴾ ووجدك على غير الذي أنت عليه اليوم) [١١]

وقال السمرقندي (ت ٣٧٥هـ): (﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا ﴾ يعني: وجدك جاهلاً بالنبوة، وبالحكمة وبالكتاب وقراءته، والدعوة إلى الإيمان، فهداك إلى هذه الأشياء)[١٢].

وقال القشيري (ت٤٥٦هـ): (أي: ضالاً عن تفصيل الشرائع فهديناك إليها، وعَرَّفناك تفصيلَها) [١٣].

وقال السمعاني (ت٤٨٩هـ):(﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا ﴾ أي: عن الشرائع والإسلام، فهداك إليها)[١٤]

وقال الراغب (ت ٥٠٢ هـ): (أي: غير مهتد لما سيق إليك من النبوة) [١٥].

وقال البغوي (ت ٥١٠هـ): (﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا ﴾ يعني: ضالا عما أنت عليه، (فَهَدَى) أي: فهداك للتوحيد والنبوة) [١٦].

وقال ابن عطية (ت ٥٤٦هـ):(﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا ﴾ أي: وجده إنعامه بالنبوة والرسالة على غير الطريقة التي هو عليها في نبوته، وهذا قول الحسن، والضحاك، وفرقة)[١٧]

وقال ابن الجوزي (٥٩٧هـ): (... أحدها: ضالا عن معالم النبوة وأحكام الشريعة، فهداك إليها. قاله الجمهور، منهم: الحسن والضحاك) [١٨]

وقال القرطبي (٦٧١هـ): ((وَوَجَدَكَ ضَالا) أي: غافلا عما يراد بك من أمر النبوة، (فهداك) أي: أرشدك. والضلال هنا بمعنى الغفلة، كقوله جل ثناؤه: ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [طه: ٥٢] أي: لا يغفل. وقال في حق نبيه: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف:٣]) [١٩]

وقال النسفي (ت ٧١٠هـ): (﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا ﴾ ، أ ي: غير عالم، ولا واقف على معالم النبوه وأحكام الشريعة، وما طريقه السمع. فهدى، فعرفك الشرائع والقرآن). (٢٠)

وقال ابن جزيء (٧٤١هـ): (﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ فيه ستة أقوال، أحدها: (وَجَدَكَ ضَالا) عن معرفة الشريعة، فهداك إليها. فالضلال عبارة عن التوقيف في أمر الدين حتى جاءه الحق من عند الله، فهو كقوله (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان). وهذا هو الأظهر؛ وهو الذي اختاره ابن عطية وغيره، ومعناه: أنه لم يكن يعرف تفصيل الشريعة وفروعها حتى بعثه الله، ولكنه ما كفر بالله ولا أشرك به؛ لأنه كان معصوما من ذلك قبل النّبوّة وبعدها) (٢١)

وقال الخازن (٧٤١هـ): (﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا ﴾ ، أي: عما أنت عليه اليوم. فهدى، أي: فهداك إلى توحيده ونبوته)(٢٢)

وقال ابن كثير (٧٧٤هـ): (قوله: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ كقوله ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[الشورى: ٥٢]) (٢٣)

وقال ابن رجب (٧٩٥ هـ): (وقال لنبيه – صلى الله عليه وسلم –: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ (٣)، والمراد: وجدَك غيرَ عالمٍ بما علَّمك من الكتاب والحكمة(٤)، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ ﴾ (٥) فالإنسان يولد مفطوراً على قبول الحقِّ، فإنْ هداه الله سبَّب له من يعلمه الهدى، فصار مهتدياً بالفعل بعد أنْ كان مهتدياً بالقوَّة...) (٢٤)

وقال ابن عادل (٨٨٠هـ): ((وَوَجَدَكَ ضَالا)، أي: غافلاً عما يراد بك من أمر النبوة. فهداك، أي: أرشدك، والضلال هنا بمعنى الغفلة، لقوله تَعَالَىٰ:﴿ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ [طه: ٥٢] أي: لا يغفل، وقال في حق نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣]) [٢٥]

وقال البقاعي (٨٨٥هـ): ((ووجدك) أي: صادفك. (ضالاً)، أي: لا تعلم الشرائع ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾[الشورى: ٥٢] فأطلق اللازم – وهو الضلال– على الملزوم، والمسبب على السبب، وهو عدم العلم؛ فكنت لأجل ذلك لا تقدم على فعل من الأفعال؛ لأنك لا تعلم الحكم فيه إلا ما عملت بالعقل الصحيح والفطرة السليمة المستقيمة من التوحيد وبعض توابعه، وهذا هو التقوى كما تقدم في الفاتحة، ولم يرد به حقيقته وإنما أعراك من التعلق بشيء من الشرائع ونحوها؛ بإعدام من يحمله على ذلك ليفرغه ذلك التأمل بنفسه؛ فيوصله بعقله السديد إلى الإعتقاد الحق في الأصول والوقوف في الفروع. (فهدى) أي: فهداك هدى محيطاً بكل علم، فعلمك بالوحي والإلهام والتوفيق للنظر ما لم تكن تعلم) [٢٦].

وقال أبو السعود (٩٨٢هـ): "وجدك غافلا عن الشرائع التي لا تهتدي إليها العقول، كما في قوله تعالى (ما كانت تدري ما الكتاب...) (فهدى) فهداك إلى مناهج الشرائع المنطوية في تضاعيف ما أوحى إليك من الكتاب المبين، وعلمك ما لم تكن تعلم) [٢٧]

وقال ابن عجيبة (١٢٢٤هـ): ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا ﴾ ؛ غافلاً عن الشرائع التي لا تهتدي إليها العقول، (فَهَدَى)؛ فهداك إليها، كقوله: (مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الكتاب وَلاَ الإيمان) [الشورى: ٥٢].) [٢٨].

وقال الألوسي (١٢٧٠هـ): (ووجدك غافلا عن الشرائع التي لا تهتدي إليها العقول كما في قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب وقوله سبحانه وإن كنت من قبله لمن الغافلين فهداك إلى مناهجها في تضاعيف ما أوحي إليك من الكتاب المبين وعلمك ما لم تكن تعلم وعلى هذا كما قال الواحدي أكثر المفسرين وهو اختيار الزجاج) [٢٩]

وقال السّعدي (ت ١٣٧٦هـ): "أي: وجدك لا تدري ما الكتاب ولا الإيمان، فعلمك ما لم تكن تعلم، ووفقك لأحسن الأعمال والأخلاق" [٣٠].

وقال ابن عاشور (١٣٩٣هـ): "والضلال: عدم الاهتداء إلى الطريق الموصل إلى المكان المقصود سواء سلك السائر طريقا آخر يبلغ إلى غير المقصود أم وقف حائرا لا يعرف أي طريق يسلك، وهو المقصود هنا لأن المعنى: أنك كنت في حيرة من حال أهل الشرك من قومك فأراكه الله غير محمود وكرهه إليك ولا تدري ماذا تتبع من الحق، فإن الله لما أنشأ رسوله صلى الله عليه وسلم على ما أراد من إعداده لتلقي الرسالة في الإبان، ألهمه أن ما عليه قومه من الشرك خطأ وألقى في نفسه طلب الوصول إلى الحق ليتهيأ بذلك لقبول الرسالة عن الله تعالى" [٣١].

وقال ابن عثيمين (١٤٢١هـ) "﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ (وجدك ضالاً) أي غير عالم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلّم لم يكن يعلم شيئاً قبل أن ينزل عليه الوحي، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ [النساء: ١١٣]. وقَالَ: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨]. فهو صلى الله عليه وسلّم لم يكن يعلم شيئاً بل هو من الأميين ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [الجمعة: ٢]. لا يقرأ ولا يكتب، لكن وصل إلى هذه الغاية العظيمة بالوحي الذي أنزله الله عليه، فعلم وعلَّم" [٣٢]

فهذه اختيارات ثلة جليلة على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم واتجاهاتهم، تؤكد أن معنى الضلال في الآية عدم العلم، مدلّلة على صحة هذا المعنى بآيات من القرآن، وأن الممتن به المهديّ إليه رسول الهدى هي النبوة.

ثانيا: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ أي: وجدتك لا أحد على دينك؛ فهديت بك الخلق إليّ؛ لأن العرب كانت إذا وجدت شجرة منفردة في فلاة من الأرض لا شجر معها سموها ضالة فيهتدى بها على الطريق؛ فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (ووجدك ضالاً فهدى). وهذا القول نسبه القرطبي (ت ٦٧١ هـ) إلى بعض المتكلمين، وقال عنه: "والقول الأخير أعجب إلي لأنه يجمع الأقوال المعنوية"[٣٣]، وعدّه ابن حجة الحموي (ت٨٣٧هـ) من أحسن الأقوال [٣٤].

قلت: وهو قول منسجم مع سياق الآيات قبله من جهة، ومع واقع سيرته صلى الله عليه وسلم من جهة أخرى؛ فمعلوم أن الله تعالى اصطفاه واجتباه من صغره، فشُقَّ صدره مرتين: الأولى: أخذ من قلبه حظ الشيطان، وكان ذلك في صغره إبان كان في بني سعد، ففي حديث (ثابت الْبُنَانِيّ، عَنْ أَنس بن مَالك، أَنَّ رَسُول اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَتَاهُ جِبْرِيلُ - صلى الله عليه وسلم- وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَان؛ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ؛ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَان مِنْكَ. ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ. وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظِئْرَهُ - فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ. فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقَعُ اللَّوْنِ. قَالَ أَنَسٌ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ)[٣٥]. فلم يبق للشيطان عليه سبيلا، ولا إلى إغوائه طريقا، فنشأ معصوما من أمور الجاهلية، لم يتلوث ببراثنها، ولم يدنس برجسها، حتى شب على ذلك، وبدأ يعبد ربه على بقايا الحنيفية السمحة حتى جاءه الحق بالحق.

وفي الثانية: حشي قلبه إيمانا وحكمة وذلك في معجزة الإسراء والمعراج ففي حديث شريك بن عبد الله أنه قال سمعت أنس بن مالك يقول: ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه و سلم من مسجد الكعبة إنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو؟ فقال أوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ثم أتي بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشوا إيمانا وحكمة فحشي به صدره ولغاديده يعني عروق حلقه ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا) [٣٦].

فكان بهذه الإرهاصات وما ترتب عليها من حفظه والعناية به كأنه شجرة وحيدة في الصحراء؛ وحيدا في دربه، متميزا عن سائر أقرانه ومحيطه، حتى أوحي إليه بالنبوة، وأمر بتبليغ الرسالة، فأخذ أمره ينتشر شيئا فشيئا، حتى تمّ. فكان صلى الله عليه وسلم من قبل ومن بعد علما على الهدى والرشاد والله أعلم.

المبحث الثاني: الأقوال المردودة في تفسير الآية

أولا: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾: ذهب بعض الناس إلى أنه كان كافراً في أول الأمر ثم هداه الله وجعله نبياً.

قال مجاهد (ت ١٠٤هـ): وَوَجَدَكَ ضَالاً عن الهدى لدينه[٣٧].

وقال السدي (ت ١٢٧هـ): "كان على دين قومه أربعين سنة" [٣٨].

وقال الكلبي (ت ٢٠٤هـ): "وَوَجَدَكَ ضَالاً يعني كافراً في قوم ضلال فهداك للتوحيد" [٣٩].

وقال برغوث المتكلم (ت ٢٤٠هـ): "لم يكن النبي صلى الله عليه وآله مؤمنا بالله قبل أن يبعثه"[٤٠].

واحتجوا على ذلك بآيات منها قوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ (الشورى ٥٢) وقوله: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (يوسف ٣)، وقوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ (الزمر ٦٥) فهذا يقتضي صحة ذلك منه وإذا دلت هذه الآية على الصحة وجب حمل قوله: (وَوَجَدَكَ ضَالاً) عليه[٤١].

وهذا الزعم هو أولى الأقوال بالرد بل بالسقوط والبطلان وقد اتخذ مطعنا في مقام النبوة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه من الكفر والضلال حتى هداه الله، وقد رد العلماء هذا الكلام على قائله، من ذلك ما قاله ابن قتيبة: "قالوا: رويتم أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (ما كفر بالله نبي قط) (وأنه بعث إليه ملكان فاستخرجا من قلبه وهو صغير علقة ثم غسلا قلبه ثم رداه إلى مكانه) ثم رويتم (أنه كان على دين قومه أربعين سنة).. قالوا: وفي هذا تناقض واختلاف وتنقص لرسول الله صلى الله عليه و سلم.

قال أبو محمد: ونحن نقول إنه ليس لأحد فيه بنعمة الله متعلق ولا مقال إذا عرف معناه، لأن العرب جميعا من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام خلا اليمن، ولم يزالوا على بقايا من دين أبيهم إبراهيم صلى الله عليه و سلم، ومن ذلك: حج البيت، وزيارته، والختان، والنكاح..، وهذه أمور مشهورة عنهم. وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم على دين قومه، يراد: على ما كانوا عليه من الإيمان بالله، والعمل بشرائعهم، في الختان والغسل والحج والمعرفة بالبعث والقيامة والجزاء..."[٤٢]

وقال البطليوسي: "وقد ترد الآية والحديث بلفظ مشترك يحتمل تأويلات كثيرة، ثم ترد آية اخرى أو حديث آخر بتخصيص ذلك اللفظ المشترك وقصره على بعض

تلك المعاني دون بعض، كقوله عز من قائل (ووجدك ضالا فهدى) فإن لفظة الضلال لما كانت مشتركة تقع على معان كثيرة، توهم قوم ممن لم يكن له فهم صحيح بالقرآن ولا معرفة ثاقبة باللسان أنه أراد الضلال الذي هو ضد الهدى؛ فزعموا أنه كان على مذهب قومه أربعين سنة، وهذا خطأ فاحش نعوذ بالله من اعتقاده فيمن طهره الله تعالى لنبوته وارتضاه لرسالته..."[٤٣]

وقال الغزالي: "الضلال في وضع اللسان لا يناسب الكفر قال الله تعالى ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ [الضحى:٧] وقال تعالى إخبارا عن موسى عليه السلام ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾[الشعراء: من الآية٢٠] وما أراد من الكافرين بل أراد من المخطئين يقال ضل فلان عن الطريق وضل سعي فلان كل ذلك الخطأ"[٤٤]

وقال الرازي: " فقد اتفقوا على أنه عليه السلام ما كفر بالله لحظة واحدة، ثم قالت المعتزلة: هذا غير جائز عقلاً؛ لما فيه من التنفير. وعند أصحابنا هذا غير ممتنع عقلاً؛ لأنه جائز في العقول أن يكون الشخص كافراً فيرزقه الله الإيمان ويكرمه بالنبوة، إلا أن الدليل السمعي قام على أن هذا الجائز لم يقع وهو قوله تعالى: (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى) (النجم ٢)"[٤٥].

وأما قول السدي فيوضحه ما ذكره ابن إسحاق قال:" فشبّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يكلؤه الله، ويحفظه، ويحوطه من أقذار الجاهلية ومعايبها؛ لما يريد به من كرامته ورسالته، وهو على دين قومه حتى بلغ أن كان رجلا أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقا، وأكرمهم مخالطة، وأحسنهم جوارا، وأعظمهم خلقا، وأصدقهم حديثا، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزها وتكرما، حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين؛ لما جمع الله عز وجل فيه من الأمور الصالحة، وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيما ذكر لي يحدث عما كان يحفظه

الله (عز وجل) به في صغره وأمر جاهليته"[٤٦]. فمم يحفظه الله في صغره وأمر جاهليته إن كان على دينهم أي معتقدهم وجاهليتهم !!.

فهذا القول من ابن إسحاق يفهم في سياقه بما يليق بمقام النبوة؛ فإن حمل على ظاهره فهو مردود كما قال الإمام أحمد:" من زعم أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه، فهو قول سوءٍ، أليس كان لا يأكل ما ذُبح على النُّصُب؟"[٤٧].

ووجب توجيهه بما يليق. قال ابن قتيبة:"قد جاء في الحديث أنه كان على دين قومه أربعينَ سنةً. ومعناه: أن العرب لم يزالوا على بقايا مِنْ دين إسماعيل، من ذلك حِجُّ البيت، والختانُ وإيقاعُ الطلاق إذا كان ثلاثاً، وأن للزوج الرَّجعة في الواحدة والاثنتين ودِيَة النَّفْس مائة من الإبل، والغُسل من الجنابة، وتحريمُ ذوات المحارم بالقرابة والصِّهر. وكان عليه الصلاة والسلام على ما كانوا عليه من الإيمان بالله والعمل بشرائعهم في الختان والغُسل والحج، وكان لا يقرب الأوثان، ويَعيبُها"[٤٨].

وقال البيهقي:"قوله على دين قومه معناه: على ما كان قد بقي فيهم من إرث إبراهيم وإسماعيل في حجهم ومناكحهم وبيوعهم دون الشرك، فإنه لم يشرك باللَّه قط. وفيما ذكر من بغضه اللات والعزى دليل على ذلك"[٤٩].

وقال الزمخشري:" ومن قال: كان على أمر قومه أربعين سنة، فإن أراد أنه كان على خلوهم عن العلوم السمعية، فنعم، وإن أراد أنه كان على دينهم وكفرهم، فمعاذ اللّه، والأنبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوّة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة، فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كانَ لَنا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ وكفى بالنبي نقيصة عند الكفار أن يسبق له كفر عائِلًا فقيراً".[٥٠]

وهذا توجيه لقول ابن إسحاق على فرض ثبوته عنه؛ فقد رواه البيهقي من طريق يونس بن شبيب عن ابن اسحاق قال حدثني عبد الله بن أبي بكر عن عثمان بن

أبي سليمان عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه جبير قال: (لقد رأيت رسول الله وهو على دين قومه وهو يقف على بعير له بعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم توفيقاً من الله عز وجل له.)

وهو عند أحمد[٥١] من رواية إبراهيم بن سعد، والبزار[٥٢] من رواية بكر بن سليمان، والطبراني[٥٣] من رواية يونس بن بكير، وعند الحاكم[٥٤] من رواية محمد بن مسلمة جميعهم عن ابن إسحاق، وليس فيه (وهو على دين قومه) فهي زيادة شاذة من تصرف يونس بن شبيب هذا، ولم أقف له على ترجمة، والله أعلم.

ومما استدل به لهذا القول الفاسد آيتان هما:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ... ﴾ الشورى: (٥٢)) وقد أجاب الرازي عما قد يوهم إشكالا فقال: " اختلف العلماء في هذه الآية مع الإجماع على أنه لا يجوز أن يقال الرسل كانوا قبل الوحي على الكفر، وذكروا في الجواب وجوهاً... ". وفصل الخطاب هنا قوله:" مع الإجماع على أنه لا يجوز أن يقال الرسل كانوا قبل الوحي على الكفر "[٥٥]

الثانية: قوله: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ يوسف(٣) فمعناه كما قال البيضاوي: " (وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى "[٥٦]. أي غير عالم به. وهو ما عليه جمهور المفسرين ويؤيده قوله تعالى في نهاية القصة (ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ).

ثانيا: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾: أي ضائعا في قومك لا يعرفون منزلتك[٥٧] **ذكره أبو هلال العسكري.** وقريب منه: ما قاله عبدالعزيز بن يحيى[٥٨] ومحمد بن علي

الترمذي[٥٩]: ووجدك خاملا لا تذكر ولا تُعرف من أنت، فهداهم إليك حتى عرفوك، وأعلمهم بما منّ به عليك **نقله عنهما الثعلبي**[٦٠].

وهذا القول مردرد من جهة اللغة، ويوجب علينا استدعاء السيرة النبوية العطرة لإبطاله من جهة الواقع، وينهض بسؤال: هل- حقا- كان قومه صلى الله عليه وسلم لا يعرفون منزلته؟. نجد في القرآن والسنة ما يدحض هذا القول. ففي القرآن يقول الحق تبارك وتعالى:﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (سورة المؤمنون)

قال ابن كثير: (أي: أَفَهُمْ لا يعرفون محمدًا وصدقه وأمانته وصيانته التي نشأ بها فيهم، أفيقدرون على إنكار ذلك والمباهتة فيه؟ ولهذا قال جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنه، للنجاشي ملك الحبشة: أيها الملك، إن الله بعث إلينا رسولا نعرف نسبه وصدقه وأمانته...) [٦١].

وفي السنة ما يثبت أن أعداءه شهدوا بمنزلته - صلى الله عليه وسلم -، ودليل هذا قصة وضع الحجر الأسود – فيما رواه "مُجَاهِدٌ، قَالَ: قَالَ لِي مَوْلاَيَ عَبْدُ اللهِ بْنُ السَّائِبِ: كُنْتُ فِيمَنْ بَنَى الْبَيْتَ،... وَإِنَّ قُرَيْشًا اخْتَلَفُوا فِي الْحَجَرِ حِينَ أَرَادُوا أَنْ يَضَعُوهُ حَتَّى كَادَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ بِالسُّيُوفِ، فَقَالَ: اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ أَوَّلَ رَجُلٍ يَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: هَذَا الأَمِينُ، وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الأَمِينَ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، قَدْ رَضِينَا بِكَ." [٦٢]

وقد شهدوا له بذلك صلى الله عليه وسلم أمامه كما في حديث "ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ)،... فَقَالَ:" أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟" قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا..."[٦٣]. وفي رواية (مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلاَّ صِدْقًا)"[٦٤]. وعند ابن سعد:(قَالُوا: نَعَمْ،

أَنْتَ عِنْدَنَا غَيْرُ مُتَّهَمٍ، وَمَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا قَطُّ)[٦٥]. قال القرطبي: "إن صدقه في ذلك هو مدلول المعجزة، وأما الكذب العمد المحض فلم يقع قط منه في خبر من الأخبار، ولا جرب عليه شيء من ذلك منذ أنشأه الله تعالى، وإلى أن توفاه الله تعالى، وقد كان في صغره معروفًا بالصدق والأمانة، ومجانبة أهل الكذب، والخيانة، حتى إنه كان يسمى بالصادق الأمين، يشهد له بذلك كل من عرفه وان كان من أعدائه، وقد خالفه"[٦٦].

فيلحظ جليا كيف استشهدهم النبي (صلى الله عليه وسلم) بطلبه منهم استحضار حاله وما يعلمونه عنه فشهدوا وأقروا له بالصدق، فكيف يقال بعد ذلك أن قومه يجهلون منزلته؟!.

ثالثا: وقريب من القول السابق قول من قال: كنت مغموراً بين الكفار بمكة فقواك الله تعالى حتى أظهرت دينه. ذكره الفخر الرازي [٦٧]، وقيل: وجدك مغمورا بأهل الشرك، فميزك عنهم. يقال: ضل الماء في اللبن، ذكره القرطبي [٦٨].

وما ذكره الفخر الرازي يضعنا أمام احتمالين:أن يكون مغمورا قبل النبوة أو بعدها.

وأما كونه مغمورا قبل النبوة لا يعرفون مكانته فقد أجيب عنه سابقا. فبقي القول بأن يكون مغمورا بعد النبوة، ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مشهورا في أهل مكة من قبل البعثة والنبوة وزادت شهرته بعدها وإن أبطأ عنه أهل مكة حتى أواخر بعثته، إلا أن يكون مراد القائل بمغمورا: أي مستضعفا من أهل مكة حتى قواه الله وأظهر دينه، فإن كان ذلك كذلك ردّه ما سيأتي من تحقيق وقت نزول السورة وأنها نزلت قبل وفاة خديجة رضي الله عنها، ومعلوم أن ذلك الوقت كان الاستضعاف للنبي صلى الله عليه وسلم ومن آمن به يزداد يوما بيوم وهو ما

اضطرهم للهجرة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: (وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ لَوْلاَ أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ، مَا خَرَجْتُ) (٦٩)

فكيف تتحقق المنة ولازال الابتلاء حاضرا.

وقريب منه القول: **أن معنى وَجَدَكَ ضَالًّا أي ضائعا في قومك كانوا يؤذونك،** ولا يرضون بك رعية، فقوي أمرك وهداك إلى أن صرت آمرا واليا عليهم. ذكره الفخر الرازي (٧٠).

وهذا القول ضعيف يرده وقت نزول السورة ولم يستقر الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه إلا في أواخر بعثته بعد فتح مكة سنة ٨ه،قال ابن كثير ملخصا للمشهد: (نذكر فيه ملخص غزوة فتح مكة التي أكرم الله عز وجل بها رسوله، و أقر عينه بها، و جعلها علما ظاهراً على إعلاء كلمته و إكمال دينه و الاعتناء بنصرته). (٧١)

رابعا: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾: أي في قوم ضالين؛ لأن من أقام في قوم نسب إليهم، كما قيل: خالد الحذاء؛ لنزوله بين الحذائين، وأبو عثمان المازني؛ لإقامته في بني مازن ولم يكن منهم(٧٢)، وقريب منه:"كنت بين ضالين فأخرجك منهم" ذكره ثعلب في مجالسه (٧٣).

قلت: وهذا القول متجه من حيث اللغة، لكن يبقى الإشكال من حيث المعنى، ولم يذكر أصحاب هذا التقدير توجيه المعنى مع قوله (فهدى)، والمعنى عليه أن يكون مهديا في قوم ضالين، وهذا الاحتمال لا يتضح معه فائدة فهدى ووجه الامتنان بها لأنه سيكون من باب تحصيل الحاصل.

خامسا: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ أي: زوَّج ابنتيه في الجاهلية. ذكره ثعلب (ت٢٩١ هـ) في مجالسه [٧٤].

وهذا القول غريب معنى، وباطل وضعا، فهل زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنتيه بعد نبوته وبعد تحريم زواج المشركين !؟. ثم هل زوجهما سفاحا لا نكاحا؟!.. قد فاخر صلى الله عليه وسلم أنه ولد من نكاح لا من سفاح، فقال: (خَرَجْت مِنْ نِكَاحٍ، لَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ مِنْ لَدُنْ آدَمَ ، لَمْ يُصِبْنِي سِفَاحُ الْجَاهِلِيَّةِ) [٧٥].

والتحقيق: أن بناته صلى الله عليه وسلم أربع هنّ زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهنّ، وأما زواجهن فتزوجت زينب قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم من أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس الزواج المشروع، وكان أبو العاص رضي الله عنه من رجال مكة المعدودين مالا وتجارة وأمانة، أسلمت وأخواتها جميعا مع أمهن خديجة رضي الله عنهن، وأسلم زوجها آخر الأمر. وقد ذكره النبي صلى الله عليه وسلم بخير لما أراد عليّ أن يتزوج على فاطمة فقال: (حَدَّثَنِي فَصَدَقَنِي وَوَعَدَنِي فَأَوْفَى لِي) [٧٦].

وأما رقية وأم كلثوم فتزوجتا من عتبة وعتيبة ابني أبي لهب: رقية من عتبة وأم كلثوم من عتيبة ولم يدخلا بهما فلما أسلمتا فارقاهما، فنكح عثمان رضي الله عنه رقية ثم لما ماتت نكح أختها أم كلثوم رضي الله عنهم جميعا.

وأما فاطمة فتزوجت عليا رضي الله عنهم وأرضاهم [٧٧].

فيكون صلى الله عليه وسلم قبل نبوته زوج زينب وأسلم زوجها بعد، وأخطب رقية وأم كلثوم لكافرين لم يدخلا بهما بل فارقاهما، وبعد النبوة زوج رقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهن جميعا من مسلمين.

ثم إن سلمنا أن الضلال كان تزويج ابنتيه -بل بناته- صلى الله عليه وسلم في الجاهلية، فما الهداية إذن؟!.

سادسا: ووجدك ضالا بحب أبي طالب فهداك إلى حبّه، قاله أبو بكر الورّاق (ت٣٧٨ هـ) وغيره [٧٨].

وهذا الكلام غير مسلم لقائله ويناقش فيقال: إن المحبة "على ثلاثة أوجه: محبّة للّذة، كمحبّة الرجل المرأة، ومنه: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا ﴾ [الإنسان: ٨]. ومحبّة للنفع، كمحبة شيء ينتفع به، ومنه: ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ [الصف: ١٣]. ومحبّة للفضل، كمحبّة أهل العلم بعضهم لبعض لأجل العلم."[٧٩].

فحب النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب هو حب طبيعي لفضل وإحسان أبي طالب، فهو حب مَن كفله ورعاه يتيما، وناصره ودافع عنه رسولا، وهذا الحب لم ينقطع ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يقال: ووجدك ضالا بحب أبي طالب فهداك إلى حبّه، بل أثبتها له القرآن فقال: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ القصص: (٥٦)): ثم ليس هو بممنوع إلا إذا تعارض مع الشرع. قال الطبري (ت٣١٠هـ):" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (إِنَّكَ) يا محمد (لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) هدايته (وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) أن يهديه من خلقه، بتوفيقه للإيمان به وبرسوله. ولو قيل: معناه: إنك لا تهدي من أحببته لقرابته منك، ولكن الله يهدي من يشاء، كان مذهبا" [٨٠].

وقال الألوسي (ت ١٢٧٠هـ): "من أحببت أي كل ما أحببته طبعا من الناس قومك وغيرهم" [٨١].

وقال السعدي (ت ١٣٧٦هـ): "يخبر تعالى أنك يا محمد -وغيرك من باب أولى- لا تقدر على هداية أحد، ولو كان من أحب الناس إليك"[٨٢].

سابعا: تفسير الضلال بمعنى المحبة. فقيل: وجدك محبّاً فهداك إلى محبوبك دليله قوله سبحانه، إخباراً عن إخوة يوسف (إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) وقوله سبحانه: (تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ) اي فرط الحب ليوسف. ذكره الثعلبي (ت٤٢٧هـ)(٨٣). وقيل: وجدك محبا في الهدى فهداك فتأولوا الضلال هنا بمعنى المحبة، نسبه البطليوسي(ت ٩٢٦هـ) إلى الصوفية، وقال: "هذا قول حسن جدا"[٨٤]. ولا نسلم بصحة الاستشهاد على كون الضلالة تفسر بالمحبة بدليل قوله تعالى (إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) وقوله سبحانه: (تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ). فقد ذكر أصحاب كتب الوجوه والنظائر معنى كلمة الضلال في القرآن وليس فيها أن الضلال يأتي بمعنى المحبة[٨٥]. وهذا المعنى ضعيف لا يؤيده السياق.

وأما قوله تعالى (إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) فمعناه الذي يحتمله السياق: في خطأ أو شقاء أو انحراف عن الطريق بسبب محبته ليوسف كما يظنون[٨٦] فالمحبة سبب الضلال وليست الضلال عينه. وأما قوله تعالى (تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ) فمعناه: "إنك من حبّ يوسف وذكره لفي خطئك وزللك القديم لا تنساه، ولا تتسلى عنه"[٨٧].

فالمحبة سبب الضلال وليست الضلال عينه. قال الشنقيطي: (وَزَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ لِلضَّلَالِ إِطْلَاقًا رَابِعًا، قَالَ: وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى الْمَحَبَّةِ، قَالَ: وَمِنْهُ قَوْلُهُ: قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ [يوسف ٩٥] قَالَ: أَيْ فِي حُبِّكَ الْقَدِيمِ لِيُوسُفَ،...وَزَعَمَ أَيْضًا أَنَّ مِنْهُ قَوْلَهُ: (وَوَجَدَكَ ضَالًّا) قَالَ: أَيْ مُحِبٌّ لِلْهِدَايَةِ فَهَدَاكَ، وَلَا يَخْفَى سُقُوطُ هَذَا الْقَوْلِ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى). [٨٨]

ثامنا: وجدك طالباً لقبلتك ضالا عنها فهداك إليها. ذكره الثعلبي(ت٤٢٧هـ)[٨٩].

وهذا الكلام يرده سبب نزول السورة، روى البخاري في صحيحه[٩٠] عن جُنْدُب بْن سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا؛ فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ لَمْ أَرَهُ قَرِبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ ، وفي رواية [٩١] قَالَتْ امْرَأَةٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أُرَى صَاحِبَكَ إِلَّا أَبْطَأَكَ " فَنَزَلَتْ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣]

فالسورة مكية، والقبلة والحديث عنها مدني فقد ثبت (أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ، أَوْ قَالَ أَخْوَالِهِ - مِنَ الأَنْصَارِ وَأَنَّهُ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ...) [٩٢] ومن نافلة القول أن الآيات التي تحدثت عن موضوع القبلة في سورة البقرة، وهي مدنية.

تاسعا: "قال الجنيد: وجدك متحيراً في بيان الكتاب المنزل عليك فهداك لبيانه، لقوله (وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ) وقوله (لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ)"[٩٣].

وهذا لقول غريب والاستدلال عليه غير سديد؛فقد تكفل الله جل وعز لنبيه صلى الله عليه وسلم ببيان القرآن نصا لا يحتمل التأويل في مرحلة مبكرة في الفترة المكية قال تعالى (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) وقد روى البخاري[٩٤] (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ (لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ)، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا نَزَلَ جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ، وَكَانَ يُعْرَفُ مِنْهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ الآيَةَ الَّتِي فِي (لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) (لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) قَالَ عَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَهُ فِي صَدْرِكَ وَقُرْآنَهُ (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) فَإِذَا

أَنْزَلْنَاهُ فَاسْتَمِعْ (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَهُ بِلِسَانِكَ قَالَ: فَكَانَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ أَطْرَقَ فَإِذَا ذَهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللَّهُ).

وأما معنى (لتبين لهم) فلام التعليل ظاهرة الدلالة على المقصود من الإنزال وليس فيها إشارة من قريب أو بعيد أنه صلى الله عبيه وسلم تحير في بيان ما أنزل إليه،وقد أبلغ القول فيه الطبري(ت٣١٠هـ)[٩٥] فقال: "فَقَدْ تَبَيَّنَ بِبَيَانِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ، أَنَّ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْقُرْآنِ، عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا لاَ يُوصَلُ إِلَى عِلْمِ تَأْوِيلِهِ، إِلاَّ بِبَيَانِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَلِكَ تَأْوِيلُ جَمِيعِ مَا فِيهِ، مِنْ وجُوهِ أَمْرِهِ: وَوَاجِبِهِ، وَنَدْبِهِ، وَإِرْشَادِهِ وَصُنُوفِ نَهْيِهِ، وَوَظَائِفِ حُقُوقِهِ، وَحُدُودِهِ، وَمَبَالِغِ فَرَائِضِهِ، وَمَقَادِيرِ اللاَّزِمِ بَعْضَ خَلْقِهِ لِبَعْضٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ أَحْكَامِ آيِهِ، الَّتِي لَمْ يُدْرَكْ عِلْمُهَا إِلاَّ بِبَيَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمَّتِهِ. وَهَذَا وَجْهٌ لاَ يَجُوزُ لِأَحَدٍ الْقَوْلُ فِيهِ، إِلاَّ بِبَيَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، له تَأْوِيلِهِ له، بِنَصٍّ مِنْهُ عَلَيْهِ، أَوْ بِدَلاَلَةٍ قَدْ نَصَبَهَا دَالَّةً أُمَّتَهُ عَلَى تَأْوِيلِهِ.

وَأَنَّ مِنْهُ مَا لاَ يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ: وَذَلِكَ مَا فِيهِ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ آجَالِ حَادِثَةٍ، وَأَوْقَاتِ آتِيَةٍ، كَوَقْتِ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، وَنُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ تِلْكَ أَوْقَاتَ لاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ حُدُودَهَا، وَلاَ يُعْرَفُ أَحَدٌ مِنْ تَأْوِيلِهَا إِلاَّ الْخَبَرَ عن بِأَشْرَاطِهَا، لاِسْتِئْثَارِ اللَّهِ بِعِلْمِ ذَلِكَ عَلَى خَلْقِهِ."

عاشرا: ووجدك ضالاً عن الهجرة فهداك إليها[٩٦] ذكره الماوردي (ت٤٥٠هـ).

والجواب عن هذا ما قاله ابن جزىء (٧٤١هـ):" وهذا ضعيف لأن السورة نزلت قبل الهجرة"[٩٧].

ويرد كذلك بالقول: أ كان ضالا عن فكرة الهجرة كوسيلة للتخلص من أذى المشركين؟ أم ضالا عن المكان الذي يهاجر إليه؟.

ونعرض هذا القول على السيرة النبوية؛ فنجد الهجرة وسيلة للتخلص من أذى المشركين قرار اتخذه النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه للتخلص من أذى المشركين في فترة مبكرة من الدعوة، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: "فَلَمّا رَأَى رَسُولُ اللّهِ - صَلّى اللّـهُ عَلَيْـهِ وَسَلّمَ - مَا يُصِيبُ أَصْحَابَهُ مِنْ الْبَلَاءِ. وَمَا هُوَ فِيهِ مِنْ الْعَافِيَةِ. بِمَكَانِهِ مِـنْ اللّـهِ وَمِـنْ عَمّهِ أَبِي طَالِبٍ وَأَنّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَمْنَعَهُمْ مِمّا هُـمْ فِيـهِ مِـنْ الْبَلَـاءِ. قَـالَ لَهُـمْ لَـوْ خَرَجْتُمْ إلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَإِنّ بِهَا مَلِكًا لَـا يُظْلَـمُ عِنْـدَهُ أَحَـدٌ..."[٩٨]، وواضـح مـن السياق أن النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ قـراره بحـزم دون تـردد قـرارا مبنيـا علـى معرفة وبينة. وأما هو فكان يعلم أنه ليس له أن يهاجر إلا بإذن الوحي.

وأما المكان الذي يهاجر إليه هو وأصحابه لإقامة دولتهم فهو أمر الوحي، وأمر أن يدعو بذلك فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِـيُّ - صـلى الله عليـه وسلم- بِمَكَّةَ ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ ونَزَلَتْ عَلَيْهِ ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴾. [٩٩]

وهذا الحديث هو ما رجحه الطبري (٣١٠هـ) تفسيرا لهذه الآية فقـال: "وَأَشْـبَهُ هَذِهِ الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ، قَوْلُ مَنْ قَالَ: مَعْنَى ذَلِكَ: وَأَدْخِلْنِـي الْمَدِينَـةَ مُدْخَلَ صِدْقٍ، وَأَخْرِجْنِي مِنْ مَكَّةَ مُخْرَجَ صِدْقٍ"[١٠٠].

الحادي عشر: ووجدك ضالاً عن معرفة الله تعالى حين كنت طفلاً صبياً كمـا قَالَ تَعَـالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ (النحـل ٧٨) فخلـق فيك العقل والهداية والمعرفة والمراد من الضال الخالي عن العلم لا الموصوف بالاعتقاد الخطأ. ذكره الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ)[١٠١].

وختام هـذا القـول أي: اسـتبعاد أن يكـون صـلى الله عليـه وسـلم موصـوفا بالاعتقاد الخطأ مسلّم لقائله وهو الحق؛ ولكن تقييد مطلق الخطاب بأنه في حال كونـه

طفلا صبيا يبطله عموم الآية المستشهد بها (وَاللَّـهُ أَخْـرَجَكُم مّـن بُطُـونِ أُمَّهَـاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا) فلا يكون في الآية وجه للامتنان؛ لأن هذا الأمـر عـام في كـل مولـود، يقول الطبري[١٠٢]: "يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ مِنْ بَعْدِ مَا أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْقِلُـونَ شَـيْئًا وَلاَ تَعْلَمُـونَ، فَـرَزَقَكُمْ عُقُـولاً تَفْقَهُونَ بِهَا وَتُمَيِّزُونَ بِهَا الْخَيْـرَ مِـنَ الشَّـرِّ،...وَقَوْلُـهُ: (وَاللَّـهُ أَخْـرَجَكُمْ مِـنْ بُطُـونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا) كَلاَمٌ مُتَنَاهٍ، ثُمَّ ابْتُدِئَ الْخَبَرُ، فَقِيلَ: وَجَعَلَ اللَّهُ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ كَذَلِكَ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ جَعَلَ لِعِبَادَةَ وَالسَّـمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَبْلَ أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَإِنَّمَا أَعْطَاهُمُ الْعِلْمَ وَالْعَقْـلَ بَعْدَمَا أَخْرَجَهُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ"

فلا يفهم من الآية أن الطفل الصغير يكون ضالا عـن معرفـة الله تعـالى حتـى يخلق الله فيه العقل؛ بل يعرف ربه مذ خلقه في عالم الـذر مصـداقا لقولـه تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾).

قال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): [١٠٣] "يخبر تعالى أنـه اسـتخرج ذريـة بـني آدم مـن أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو. كمـا أنـه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه، قَالَ تَعَـالَىٰ:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم:٣٠] وعن أبي هريرة، رضي الله عنـه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة) [١٠٤]..."

الثاني عشر: وقال قوم: إنه كان على جملة ما كان القوم عليه، لا يظهر لهم خلافا على ظاهر الحال، فأما الشرك فلا يظن به، بل كان على مراسم القوم في الظاهر أربعين سنة. ذكره القرطبي (ت)[١٠٥].

قلت: هذا الكلام بإطلاق ترده السيرة الصحيحة إذ الثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مفارقا لقومه في جميع مظاهر الجاهلية والشرك؛ حتى عقد كتاب السيرة فصولا في حفظ الله تعالى إياه في شبابه عما كان عليه أهل الجاهلية واشتهاره بالأخلاق الفاضلة والخصال الحميدة قبل بعثته وتعظيم قومه له صلى الله عليه وآله وسلم[١٠٦].

والمرة الوحيدة التي حاول فيها مجاراة القوم في مراسمهم سجلت لنا السيرة النبوية مسجلة معها كيف أن الله عصمه وصرف عنه شأن الجاهلية، فقد روى عَلِيٌّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا هَمَمْتُ بِقَبِيحٍ مِمَّا يَهُمُّ بِهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ إِلاَّ مَرَّتَيْنِ مِنَ الدَّهْرِ كِلْتَاهُمَا عَصَمَنِي اللَّهُ مِنْهُمَا. قُلْتُ لَيْلَةً لِفَتًى كَانَ مَعِي مِنْ قُرَيْشٍ بِأَعْلَى مَكَّةَ فِي غَنَمٍ لأَهْلِنَا نَرْعَاهَا: أَبْصِرْ لِي غَنَمِي حَتَّى أَسْمُرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِمَكَّةَ كَمَا يَسْمُرُ الْفِتْيَانُ[١٠٧].

الثالث عشر: "أنه حين ظهر لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ مَا كَانَ يَعْرِفُ أَهُوَ جِبْرِيلُ أَمْ لَا، وَكَانَ يَخَافُهُ خَوْفًا شَدِيدًا، وَرُبَّمَا أَرَادَ أَنْ يُلْقِيَ نَفْسَهُ مِنَ الْجَبَلِ فَهَدَاهُ اللَّهُ حَتَّى عَرَفَ أَنَّهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ" ذكره الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) [١٠٨]

وهذا القول لا يستقيم؛ ذلكم أنه ليس من معاني الضلال: الخوف، ثم مسألة أنه ربما أراد أن يلقي نفسه من الجبل بسبب هذا الخوف الشديد من جبريل فالغلط فيها من وجهين:

الأول: أن سبب ذلك هو الحزن الشديد وكان جبريل هو الذي يمنعه كما ورد في الرواية (ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا بَلَغَنَا حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ وَتَقِرُّ نَفْسُهُ فَيَرْجِعُ فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ). [١٠٩] وهذا الكلام بلاغ مدرج من كلام الزهري وليس مسندا.

الثاني: أن هذا الكلام لا يثبت مثله فهو زيادة من بلاغات الإمام الزهري، وخلاصة القول: أن هذه الزيادة لم تأت من طريق موصولة يحتج بها[١١٠].

الرابع عشر: "أَنَّهُ قَدْ يُخَاطَبُ السَّيِّدُ، وَيَكُونُ الْمُرَادُ قَوْمَهُ فَقَوْلُهُ: وَوَجَدَكَ ضَالًّا أَيْ وَجَدَ قَوْمَكَ ضُلَّالًا، فَهَدَاهُمْ بِكَ وَبِشَرْعِكَ"[١١١].

وهذ القول وإن ورد من حيث الاحتمال اللغوي؛ لكن يعكر عليه سياق العطف في الآيات: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾) فكيف يكون معنى أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى؛ ومعنى وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى (٨) إن قلنا خاطب السيد وأراد القوم. فسياق السورة من أولها إلى آخرها، وسبب نزولها يأبيان أن يكون المخاطب أحد سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله أعلم.

الخامس عشر: "وجدك ضالا ليلة المعراج حين انصرف عنك جبرائيل لا تعرف الطريق، فهداك إلى ساق العرش". ذكره الثعلبي (٤٢٧هـ) [١١٢]

وهذا القول مبني على خبر لا يثبت مثله إلا بالسماع، وعند مراجعة قصة المعراج في الكتاب والسنة نجد هذا الزعم لا ينسجم مع الحديث الصحيح الذي فصل

شأن المعراج وفيه: « ثُمَّ عَرَجَ بِى حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلاَمِ»(١١٣).

ثم ليس في شيء من الروايات أن جبريل عليه السلام انصرف عن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج؛ بل الثابت أنه كان ملازما له يسأله النبي صلى الله عليه وسلم عن كل ما يرى ومن ذلك ما جاء في رواية المعراج (فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ قِيلَ مَنْ هَذَا قِيلَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ قِيلَ وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ مَرْحَبًا بِكَ مِن ابْنٍ وَنَبِيٍّ فَرُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ وَرُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبِقُهَا كَأَنَّهُ قِلَالُ هَجَرَ وَوَرَقُهَا كَأَنَّهُ آذَانُ الْفُيُولِ فِي أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ فَقَالَ أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَفِي الْجَنَّةِ وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ النِّيلُ (فَالنِّيلُ) وَالْفُرَاتُ ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلَاةً....) (١١٤).

أما ساق العرش وتعلق النبي صلى الله عليه وسلم به، فليس له ذكر في حديث يعتمد عليه؛ بل إن ما ذكر في هذا الشأن ورد في أحاديث موضوعه منها: حديث: لما عرج بي رأيت مكتوباً على ساق العرش: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أيدته بعلي، نصرته بعلي(١١٥). وحديث: (حملني على جناح جبريل حتى أتى بى السماء السابعة وجاوزت سدرة المنتهى عند جنة المأوى حتى تعلقت بساق العرش...) (١١٦).

السادس عشر:﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ أي وجدك ذاهبا إلى النبوة فهي ضالة عنك. كما قال تعالى "أن تضل إحداهما "وإنما الشهادة هي الضلالة عنها وهذا من المقلوب المستفيض في كلامهم. قاله أبو علي الفارسي(١١٧).

وما ذكره الفارسي رحمه الله من استشهاد على ما اختاره من معنى لا يساعده التقدير.

فمعنى كلامه رحمه الله:" وإنما الشهادة هي الضلالة عنها " بينه المفسرون كما قال البيضاوي[١١٨]:" أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى) علة اعتبار العدد أي لأجل أن إحداهما إن ضلت الشهادة بأن نسيتها ذكرتها الأخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم: أعددت السلاح أن يجيء عدو فأدفعه وكأنه قيل: إرادة أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت".وقال أبو حيان[١١٩]:" وأما: أن تضل، بفتح الهمزة، فهو في موضع المفعول من أجله، أي لأن تضل على تنزيل السبب، وهو الإضلال. منزلة المسبب عنه، وهو الإذكار، كما ينزل المسبب منزلة السبب لالتباسهما واتصالهما، فهو كلام محمول على المعنى، أي: لأن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت"

فليس في أقوال المفسرين إبطال معنى "أن تضل"، وهو عندهم على ظاهره بمعنى النسيان؛ وإنما كلامهم تعليل وتقدير لما جاء عليه النظم القرآني في هذه الآية، والله أعلم.

السابع عشر: ضالاً عن أمور الدنيا لا تعرف التجارة ونحوها ثم هديتك حتى ربحت تجارتك وعظم ربحك حتى رغبت خديجة فيك، والمعنى أنه ما كان لك وقوف على الدنيا، وما كنت تعرف سوى الدين فهديتك إلى مصالح الدنيا بعد ذلك. ذكره الفخر الرازي [١٢٠]، وارتضاه الإيجي (ت٧٥٦هـ) [١٢١]

وهذا القول مرسل بلا دليل، يبطله حاله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وبعدها، فقد كان صلى الله عليه وسلم يعرف ما يصلح له دنياه، وعمل عمل الأنبياء من قبله، وهو ما عبر عنه بقوله:(مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلاَّ رَعَى الْغَنَمَ فَقَالَ أَصْحَابُهُ وَأَنْتَ فَقَالَ نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ) [١٢٢]

ثم لم يوضح صاحب هذا القول معنى (ولم تكن تعرف سوى الدين) فإن كان يشير إلى مسألة التحنث – وهو المتبادر إلى الذهن- فهذا الأمر كان بعد زواجه صلى الله عليه وسلم بخديجة رضي الله عنها كما جاء نصا في حديث بدء الوحي وفيه: (كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِى النَّوْمِ فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِىَ أُولاَتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِى غَارِ حِرَاءٍ) [١٢٣].أي أن صلاح أمر دنياه ومنها تجارته سبق تحنثه.

ثم حاله بعد النبوة لم يكن فيها إلا الدعوة إلى الله تعالى، ولم يذكر لنا شيء من اشتغاله بالدنيا وهو القائل صلى الله عليه وسلم (مَا لِي وَلِلدُّنْيَا) [١٢٤]

الثامن عشر والتاسع عشر والعشرون: حمل بعضهم الضلال على الضياع الحقيقي، وذكروا روايات تفيد بأنه صلى الله عليه وسلم تعرض للضياع عدة مرات منذ طفولته وحتى شبابه؛ وعند التحقيق لا يثبت من هذه الروايات شيء البتة، ومردها جميعا إلى ثلاث، الأولى:وهي التي تتحدث عن ضياعه صغيرا في فترة جده عبد المطلب، ورويت مرة مطولة ومرات مختصرة، أهمها ثلاث روايات، هي:

أولا: الرواية المطولة وهي حديث (كعب الأحبار في مولد رسول الله صلى اللّه عليه وسلم وبدء أمره؛ أن حليمة لّما قضت حق الرضاع، جاءت برسول الله صلى اللّه عليه وسلم لتردّه إلى عبد المطلب، قالت حليمة: فأقبلت أسير حتى أتيت الباب الأعظم من أبواب مكّة، فسمعت مناديا ينادي: هنيئا لك يا بطحاء مكة، اليوم يرد عليك النور والدين والبهاء والجمال، قالت: ثم وضعت رسول الله صلى اللّه عليه وسلم لأقضي حاجة وأصلح ثيابي، فسمعت هدّة شديدة، فالتفت فلم أره، فقلت: معاشر الناس أين الصبي؟ فقالوا: أي الصبيان؟

قلت: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، الـذي نضّـر الله بـه وجهـي، وأغنـى عيلتي، ربّيته حتى إذا أدركت فيه سروري وأملي أتيـت بـه لأردّه، وأخـرج هـذا مـن أمانتي، اختلس من بين يدي قبل أن يمس قدمه الأرض، والـلات والعـزى لـئن لم أره لأرمينّ بنفسي من شاهق الجبل، فلأقطعنّ إربا إربا.

قالوا: ما رأينا شيئا، فلمّا آيسوني وضـعت يـدي علـى أم رأسـي، وقلـت: وا محمداه وا ولداه، فأبكيت الجواري الأبكار لبكائي، وضجّ الناس معي بالبكـاء حرقـة لي، فإذا أنا بشيخ كالفاني يتوكأ على عصا، قال: ما لك أيتها السعدية؟

قلت: فقدت ابني محمدا، فقال: لا تبكي أنا أدلّك علـى مـن يعلـم علمـه، وإن شاء أن يردّه فعل، قلت: فدتك نفسي، ومن هو؟ قال: الصنم الأعظم هبل.

قالت: فدخل وأنا أنظر، فطاف بهبل وقبّل رأسه وناداه: يا سيداه، لم تزل منتك على قريش قديمة، وهذه السعدية تزعم أن ابنا لها قد ضلّ، فـردّه إن شـئت، وأخـرج هذه الوحشة عن بطحاء مكة، فإنها تزعم أن ابنها محمدا قد ضلّ، قال: فانكـب هبـل على وجهه، وتساقطت الأصنام، وقالت: إليك عنّا أيها الشيخ. إنما هلاكنا على يدي محمد.

قالت: فأقبل الشيخ أسمـع لأسـنانه اصـطكاكا، ولركبتـه ارتعـادا، وقـد ألقـى عكازته من يده وهو يقول: يا حليمة إن لابنـك ربـا لا يضـيّعه فاطلبيـه علـى مهـل، قالت: فخفت أن يبلغ الخبر عبد المطلب قبلي، فقصدته فلمّا نظر إليّ، قال: أسعد نزل بك أم نحوس؟، قلت: بل النحس الأكبر، ففهمها منّي، وقال: لعلّ ابنك ضـلّ منـك، قالت: قلت: نعم فظنّ أن بعض قريش قد اغتاله، فسلّ عبد المطلب سيفه لا يثبت لـه أحد من شدة غضبه، ونادى بأعلى صوته: يا آل غالب، يا آل غالب، وكانت دعوتهم في الجاهلية فأجابته قريش بأجمعها، وقالوا: ما قصتك؟، قال: فقـد ابـني محمـد، قالـت

قريش: اركب نركب معك، فإن تسنّمت جبلا تسنماه معك، وان خضت بحرا خضناه معك، فركب وركبت قريش معه فأخذ على أعلى مكة وانحدر على أسفلها، فلمّا أن لم ير شيئا ترك الناس واتشح وارتدى بآخر، وأقبل الى البيت الحرام، فطاف اسبوعا ثم أنشأ يقول: يا ربّ ردّ راكبي محمدا***ردّه ربي واتخذ عندي يدا ***يا ربّ إن محمد لم يوجدا مجمع قومي كلّهم مبدّدا، فسمعنا مناديا ينادي من الهواء: معاشر الناس لا تضجوا، فان لمحمد ربّا لا يخذله ولا.....الخ" أخرجه البيهقي وقال: هذا مرسل وقد روى حديث الشق بإسناد صحيح موصول[١٢٥].

قلت: وقد قال البيهقي قبل سرد الحديث: وقد روى محمد بن زكريا الغلابي بإسناده عن ابن عباس عن حليمة هذه القصة بزيادات كثيرة وهي لي مسموعة إلا أن محمد بن زكريا هذا متهم بالوضع فالاقتصار على ما هو معروف عند أهل المغازي أولى والله أعلم.

وقال ابن عساكر: هذا حديث غريب جدا وفيه ألفاظ ركيكة لا تشبه الصواب ويعقوب بن جعفر غير مشهور في الرواية[١٢٦].

ثانيا: حديث العباس بن عبد الرحمن، عن كندير بن سعيد، عن أبيه قال: (حججت في الجاهلية، فإذا أنا برجل يطوف بالبيت، وهو يرتجز، ويقول: يا ربّ ردّ راكبي محمدا ردّ إليّ واصطنع عندي يدا

فقلت: من هذا؟ قيل: عبد المطلب بن هاشم، ذهبت أبل له فأرسل ابن ابنه في طلبها، ولم يرسله في حاجة قط إلّا جاء بها، وقد احتبس عليه، قال: فما برحت أن جاء النبي صلى اللّه عليه وسلم وجاء بالإبل، فقال: يا بنيّ لقد حزنت عليك حزنا لا يفارقني أبدا) [١٢٧].

قلت: وهذا الحديث ضعيف لجهالة بعض رواته، والاضطراب في تعيين بعضهم، وهو عباس الراوي عن كندير؛ فمرة يقال: ابن عبد الرحمن، ومرة يقال: ابن عبد الله [١٢٨]. والعجب من الحاكم حيث أخرجه وصححه على شرط الشيخين، ومن الذهبي حيث أقره وصححه على شرط مسلم.

ثالثا: ما روي مرفوعاً أنه عليه الصلاة والسلام قال: (ضللت عن جدي عبد المطلب وأنا صبي ضائع كاد الجوع يقتلني فهداني الله). وهذه الرواية لم أقف عليها مطلقا وأقدم من ذكرها هو الفخر الرازي في تفسيره، وقال:" ذكره الضحاك، وذكر تعلقه بأستار الكعبة، وقوله: يا رب رد ولدي محمدا ارده ربي واصطنع عندي يدا..." وهذا يدل على أنها جزء من الرواية السابقة، والله أعلم.

وأما الرواية المتصلة بضياعه من أبي طالب في رحلة الشام.

فقيل إن أبا طالب خرج به إلى الشأم فضل عن الطريق فهداه الله تعالى[١٢٩].

وقد فصل بعضهم فذكر سبب الضياع فروى عن سعيد بن المسيب قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة ظلماء ناقةً إذ جاء إبليس فأخذ بزمام الناقة فعدل به عن الطريق، فجاء جبريل فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى أرض الحبشة، ورده إلى القافلة فمنَّ الله عليه بذلك[١٣٠].

قلت: وخروج أبي طالب به إلى الشام؛ بل خروجه صلى الله عليه وسلم إلى الشام كان مرتين كما سطر ذلك علماء السير وعنونوا له في كتبهم: الأولى: مع عمه أبي طالب وكان ابن اثنتي عشرة سنة، وفيها حصل خبر بحيرا الراهب المشهور[١٣١]

والثانية: في تجارة لخديجة رضي الله عنها مع غلامها ميسرة[١٣٢]. ولم يذكر أي منهم في أيّ من المرتين أنه صلى الله عليه وسلم ضل عن القافلة التي كان يسير بها.

وأما ما ذكر عن سعيد بن المسيب فلم نقف عليه في أي مصدر غير كتب التفسير، وأقدم من ذكره هو الثعالبي (ت ٤٢٧هـ) [١٣٣]، ولم يذكر مستنده في هذا، ولعلها من روايات القصاص فكتاب الثعالبي مليء بمثل هذا، والله أعلم.

وأما القصة الثالثة المتصلة بتفسير الضلال بالضياع الحقيقي هي: أنه لما هاجر إلى المدينة ضل في الطريق، وضل دليله فأرشدهم الله إلى الطريق الواضح حتى وصلوا فاذا قيل: السورة مكية أمكن أن يقال: المراد بذلك الاستقبال والاعلام له أنه يكون هذا على وجه البشارة له به، ولم يكن فعلا له معصية، لانه ليس ذهابا عما كلف[١٣٤]. ذكره الطوسي.

الحادي والعشرون: "كنت ضالاً ما كنت تهتدي على طريق السموات فهديتك إذ عرجت بك إلى السموات ليلة المعراج (ذكره الفخر الرازي) [١٣٥].

وهذا القول غريب وليس له دليل يقوم عليه لا من سماع ولا من عقل.

الثاني والعشرون: "ووجدك ضالاً أي ناسياً لقوله تعالى أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا (البقرة ٢٨٢) فهديتك أي ذكرتك

وفي الأمر المنسي قولان:

الأول: وجدناك ناسياً شأن الاستثناء حين سُئلت عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، دليله قوله (أَن تَضِلَّ إِحْدَ اهُمَا) أي تنسى، ذكره الزجاج (ت٣٣٧هـ)" [١٣٦].

وهذا التوجيه مردود لأنه معتمد على أساس لا يثبت أهل الحديث مثله، فهو معتمد على قصة لم تثبت حيث:" رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنِ الْكَلْبِيِّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: نَزَلَ فِي النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ ثَمَانِي آيَاتٍ

مِنَ الْقُرْآنِ قَوْلُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ) وَكُلُّ مَا ذُكِرَ فِيهِ الأَسَاطِيرُ مِنَ الْقُرْآنِ، فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ النَّضْرُ بَعَثُوهُ، وَبَعَثُوا مَعَهُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مَعِيطٍ إِلَى أَحْبَارِ يَهُودٍ بِالْمَدِينَةِ، وَقَالُوا لَهُمَا: سَلاَهُمْ عَنْ مُحَمَّدٍ، وَصِفَا لَهُمْ صِفَتَهُ، وَأَخْبِرَاهُمْ بِقَوْلِهِ؛ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الأَوَّلِ؛ وَعِنْدَهُمْ مَا لَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ عِلْمِ الأَنْبِيَاءِ (صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ) فَخَرَجَا حَتَّى قَدِمَا الْمَدِينَةَ؛ فَسَأَلاَ أَحْبَارَ يَهُودَ عَنْ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) وَوَصَفَا لَهُمْ أَمْرَهُ، وَأَخْبَرَاهُمْ بِبَعْضِ قَوْلِهِ، وَقَالاَ لَهُمْ: إِنَّكُمْ أَهْلُ التَّوْرَاةِ؛ وَقَدْ جِئْنَاكُمْ لِتُخْبِرُونَا عَنْ صَاحِبِنَا. قَالُوا: سَلُوهُ عَنْ ثَلاَثٍ، فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِهِنَّ فَهُوَ نَبِيٌّ. سَلُوهُ عَنْ فِتْيَةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الأَوَّلِ مَا كَانَ أَمْرُهُمْ فَإِنَّهُ كَانَ لَهُمْ حَدِيثٌ عَجَبٌ وَسَلُوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ قَدْ بَلَغَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا وَسَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ مَا هُوَ فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِذَلِكَ فَهُوَ نَبِيٌّ فَاتَّبِعُوهُ..."[١٣٧].

فهذه القصة من رواية الكلبي، وهو: كذاب [١٣٨]، يرويه عن أبي صالح باذام مولى أم هانىء، قال ابن عدي فيه:" ولم أعلم أحدا من المتقدمين رضيه"[١٣٩]؛ ولذا قال ابن حجر عن هذا الحديث: " هذا لم يرد هكذا من وجه ثابت "[١٤٠].

الثاني: أنه ليلة المعراج نسي ما يجب أن يقال بسبب الهيبة فهداه الله تعالى إلى كيفية الثناء حتى قال (لا أحصي ثناء عليك) [١٤١].

ولم تذكر أيّا من روايات الإسراء والمعراج شيئا من ذلك، وثناؤه صلى الله عليه وسلم على ربه بهذا الدعاء روي عن اثنين من الصحابة هما:

عائشة رضي الله عنها تقول في حديثها: (فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم- لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِى عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِى الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ « اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لاَ أُحْصِى ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ) [١٤٢].

وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وفيه أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يقول في وتره: (اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) [١٤٣] وليس في هذين الحديثين ذكر للمعراج حتى يقال ما قيل.

ثم حادثة الإسراء متأخرة الوقوع إلى قبيل الهجرة النبوية، وخديجة رضي الله عنها لم تدركها كما حقق ذلك كثير من المحققين[١٤٤]، وسورة الضّحى نزلت في فترة مبكرة من النبوة في حياة خديجة كما مرّ سابقا.

الثالث والعشرون: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ أي: ووجدك بعرضة للضلال فكأنه ضال بالقوة لا بالفعل،أي لولا اصطفاء الله تعالى لك لكنت كواحد من قومك ذكره ابن أبي الحديد (ت٦٥٦هـ) [١٤٥].

والفرق بين القوة والفعل:" أن الإنسَان منا إذا كَانَ يجيد القراءة أو الكتابة نقول: هذا الإنسَان كاتب، ونصفه بأنه كاتب، فهذا يسمى: "كاتب بالقوة"، يعني: أن هذه الصفة والملكة موجودة فيه، فيستطيع أن يكتب، فإذا أمسك القلم وكتب سُمي كاتباً بالفعل". [١٤٦] وهو قول حسن من جهة المعنى، نعم لولا هداية الله لكل من آمن لما آمن، يشهد له قوله تَعَالَىٰ:﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ الحجرات: (١٧) إلا أنه لا يظهر فيه معنى الامتنان الذي يدل عليه سياق السورة والذي يوحى بانفراد المصطفى صلى الله عليه وسلم بهذه النعمة؛ فقومه لم يكونوا جميعا على الانحراف عن العقيدة؛ بل كان فيهم ورقة بن نوفل.. ممن كان على الحنيفية.

قال القرطبي:" لم تكن فترة إلا وفيها من يوحد الله؛ كقس بن ساعدة، وزيد بن عمرو بن نفيل الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: (يبعث أمة وحده)، وسَطيح، وورقة بن نوفل الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: (رأيته ينغمس في أنهار الجنة). فهؤلاء ومن كان مثلهم حجة على أهل زمانهم وشهيد عليهم. والله أعلم." (١٤٧)

الخاتمة:

وبعد هذا التطواف والترحال بين أقوال العلماء وآرائهم في تفسير هذه الآية الكريمة تسجل النتائج الآتية:

١- تكاثرت أقوال العلماء والمفسرين حول هذه الآية الكريمة حتى تجاوزت العشرين.

٢- الوجه الراجح والمختار في تفسيرالضلال في الآية الكريمة هو عدم العلم، أو الغفلة المراد بها عدم العلم، والمعنى: ووجدك غير عالم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلّم لم يكن يعلم شيئاً من ومعالم النبوة وتفصيل الشريعة قبل أن ينزل عليه الوحي، فهدي إليها. وهذا التفسير منسجم مع مقام النبوة، ومتسق من حيث المعنى ويؤيده السياق، وهو ما عليه جلّ العلماء والمفسرين من المتقدمين والمتأخرين.

٣- مما يقبل في تفسير الآية الكريمة منسجما مع سياق الآيات قبله من جهة، ومع واقع سيرته صلى الله عليه وسلم من جهة أخرى، المعنى: وجدتك لا أحد على دينك؛ فهديت بك الخلق إليّ؛ لإن العرب كانت إذا وجدت شجرة منفردة في فلاة من الأرض لا شجر معها سموها ضالة،فيهتدى بها على الطريق،.فكأنه صلى الله عليه وسلم شجرة وحيدة في صحراء؛ وحيدا في دربه، متميزا عن سائر أقرانه ومحيطه، حتى أوحي إليه بالنبوة، فكان قبل وبعد علما على الهدى والرشاد.

٤- يعد الزعم بأن تفسير الآية: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه من الكفر والضلال حتى هداه الله، أولى الأقوال بالرد بل بالسقوط والبطلان،وقد اتخذ مطعنا في مقام النبوة، ورده العلماء وأظهروا ومناقضته لصريح العقل وصحيح النقل

٥- جاءت بعض هذه الأقوال متناقضة مع آي القرآن أو أحداث السيرة النبوية أو مع كليهما: كالقول أن المراد: ضائعا في قومك لا يعرفون منزلتك أو أن المعنى أي: زوَّج ابنتيه في الجاهلية أو القول: إنه صلى الله عليه وسلم كان على جملة ما كان القوم عليهلا شركا بل في مراسمهم

٦- لم يتنبه بعض المفسرين الى سياق السورة وما يحمله من معنى الامتنان،فقالوا: أي في قوم ضالين. والقول: أَنَّهُ قَدْ يُخَاطَبُ السَّيِّدُ، وَيَكُونُ الْمُرَادُ قَوْمَهُ فَقَوْلُهُ: وَوَجَدَكَ ضَالًّا أَيْ وَجَدَ قَوْمَكَ ضُلَّالًا، فَهَدَاهُمْ بِكَ. والقول: ووجدك ضالاً عن معرفة الله تعالى حين كنت طفلاً صبياً.

٧- ظهر التكلف ومخالفة الواقع في بعض الأقوال كالقول:ووجدك ضالا بحب أبي طالب فهداك إلى حبّه، والقول: وجدك متحيراً في بيان الكتاب المنزل عليك فهداك لبيانه،والقول: وجدك ذاهبا إلى النبوة فهي ضالة عنك، والقول: ضالاً عن أمور الدنيا لا تعرف التجارة ونحوها ثم هديتك،والقول: كنت ضالاً ما كنت تهتدي على طريق السموات فهديتك إذ عرجت بك إلى السموات ليلة المعراج.

٨- خالفت بعض الأقوال اللغة كتفسير الضلال بالمحبة في القول: وجدك محبّاً فهداك إلى محبوبك دليله قوله سبحانه وتفسير الضلال بالخوف في القول:أنه حين ظهر لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ مَا كَانَ يَعْرِفُ أَهُوَ جِبْرِيلُ أَمْ لَا،فخافه فَهَدَاهُ اللَّهُ حَتَّى عَرَفَه "

٩- اعتمد بعض المفسرين على روايات لم تصح. كالقول: أنه حين ظهر لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ مَا كَانَ يَعْرِفُ أَهُوَ جِبْرِيلُ أَمْ لَا،فخافه فَهَدَاهُ اللَّهُ حَتَّى عَرَفَه " والقول: وجدك ضالا ليلة المعراج حين انصرف عنك جبرائيل لا تعرف الطريق، فهداك إلى ساق العرش. والقول: أن النبي صلى الله عليه وسلم تعرض للضياع الحقيقي في زمن جده عبد المطلب، وعمه أبي طالب، وفي طريق هجرته.

والقول: وجدناك ناسياً شأن الاستثناء حين سُئلت عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح، أوناسيا ليلة المعراج ما يجب أن يقال بسبب الهيبة.

١٠- لم يراع بعض المفسرين سبب نزول سورة الضحى ووقت نزولها كما في القول: وجدك طالباً لقبلتك ضالا عنها فهداك إليها.والقول: ووجدك ضالاً عن الهجرة فهداك إليها، والقول: كنت مغموراً بين الكفار بمكة فقواك الله تعالى حتى أظهرت دينه. والقول: أن معنى وَجَدَكَ ضَالًّا أي ضائعا في قومك كانوا يؤذونك.

الهوامش والتعليقات:

(١) رحمت الله الهندي، إظهار الحق (٣/ ٩٤٧)

(٢) انظر: أحمد بن زيد، تصحيح أخطاء الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في لايدن بهولاندا (ص: ٤٠)

(٣) انظر كتاب: عبد المحسن المطيري، الطعن في القرآن الكريم و الرد على الطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري (ص: ٥٣)،عبد الجليل الشلبي، رد مفتريات المبشرين على الإسلام، ص:٣٨، عن رسالة المجلس الملي القبطي الأرثوذكس بالإسكندرية، دائرة المعارف البريطانية (ص:٢٢).

(٤) ينظر مثلا: رحمت الله الهندي، إظهار الحق (٣/ ٩٤٧)،عبد المحسن المطيري، الطعن في القرآن الكريم و الرد على الطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري (ص: ٥٣)،عبد الجليل الشلبي، رد مفتريات المبشرين على الإسلام، ص:٣٨، عن رسالة المجلس الملي القبطي الأرثوذكس بالإسكندرية، دائرة المعارف البريطانية (ص:٢٢). أحمد بن زيد، تصحيح أخطاء الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في لايدن بهولاندا (ص: ٤٠)

(٥) هو: الحسن ابن أبي الحسن البصري، واسم أبيه يسار بالتحتانية والمهملة، الأنصاري مولاهم. ابن حجر، تقريب التهذيب (ص ١٦٠)

(٦) الضحاك ابن مزاحم الهلالي أبو القاسم أو أبو محمد الخراساني. ابن حجر، تقريب التهذيب (٢/ ٢٨٠)

(٧) شهر ابن حوشب الأشعري الشامي مولى أسماء بنت يزيد ابن السكن.ابن حجر، تقريب التهذيب (٢/ ٢٦٩)

(٨) عبد الرحمن بن كيسان أبو بكر الأصم المعتزلي صاحب المقالات في الأصول. كان من أفصح الناس وأورعهم وأفقههم وله تفسير عجيب.ابن حجر، لسان الميزان (٥/ ١٢١)

(٩) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠/ ٢٢٦)

(١٠) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث (ص: ١١٣)

(١١) الطبري، جامع البيان للطبري (ج ١٢ / ص ٦٢٤)

(١٢) السمرقندي، بحر العلوم (ج ٤ / ص ٤١٥)

(١٣) ابن عجيبة، البحر المديد (ج ٧ / ص ٧٩)

(١٤) السمعاني، تفسير السمعاني (ج ٥ / ص ٣٨٦)

(١٥) الراغب، مفردات ألفاظ القرآن (ج ٢ / ص ١٤)

(١٦) البغوي، معالم التنزيل (ج ٨ / ص ٤٥٦)

(١٧) ابن عطية، المحرر الوجيز (ج ٧ / ص ٤١)

(١٨) ابن الجوزي، زاد المسير (ج ٩ / ص ١٥٨)

(١٩) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج ٢٠ / ص ٨٧)

(٢٠) النسفي، مدارك التنزيل (ج ٤ / ص ٣٤٥)

(٢١) ابن جزئ، التسهيل لعلوم التنزيل - (ج ٣ / ص ٣٣٥)

(٢٢) الخازن، لباب التأويل (ج ٧ / ص ٢٥٩)

(٢٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج ٨ / ص ٤٢٦)

(٢٤) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ٢/ ٣٩

(٢٥) ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب (ج ١٦ / ص ٣٨٠)

(٢٦) البقاعي، نظم الدرر (ج ٨ / ص ٤٥٧)

(٢٧) أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج ٩ / ص ١٧٠-١٧١)

(٢٨) ابن عجيبة، البحر المديد (ج ٧ / ص ٧٩)

(٢٩) الألوسي، روح المعاني (ج ٣٠ / ص ١٦٢)

(٣٠) السعدي، تيسير الكريم الرحمن (ص ٩٢٨)

(٣١) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج ٣٠ / ص ٣٥٣)

(٣٢) ابن عثيمين، تفسير القرآن (ج ٣١ / ص ٤)

(٣٣) القرطبي، الجامع،٢٠/ ٩٩

(٣٤) طيب المذاق من ثمرات الأوراق (ص: ٢٣٩)

(٣٥) مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب الإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- إِلَى السَّمَوَاتِ وَفَرْضِ الصَّلَوَاتِ(١/ ١٤٥) ح١٦٢.

(٣٦) البخاري، الصحيح، كتاب التفسير، باب قوله { وكلم الله موسى تكليما } (٦/ ٢٧٣٠) ح ٧٠٧٩.

(٣٧) انظر الرازي، مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٥). قلت: ويستغرب نسبة هذا القول لمجاهد رحمه الله خاصة أن الرازي انفرد بنسبة هذا القول له، فإن صح هذا القول عنه فهو مردود.

(٣٨) الطبري، جامع البيان (ج ٢٤ / ص ٤٨٨)

(٣٩) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج ٢٠ / ص ٩٩)

(٤٠) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة (ج ٧ / ص ٧)

(٤١) ابن إسحاق، السيرة (٢/ ٥٧)

(٤٢) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث (ص: ١١١-١١٢)

(٤٣) البطليوسي، كتاب الإنصاف (ص: ٣٦)

(٤٤) الغزالي، المستصفى (١/ ٣٣٤)

(٤٥) الرازي، مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٦)

(٤٦) ابن إسحاق، السيرة النبوية، ٢/ ٥٧

(٤٧) القاضي أبو يعلى، العدة في أصول الفقه(٣/ ٧٦٦)

(٤٨) ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث،(ص١١٣)

(٤٩) المقريزي، إمتاع الأسماع (٢/ ٣٥٧)

(٥٠) الزمخشري، الكشاف (٤/ ٧٦٨)

(٥١) أحمد بن حنبل، المسند (٤/ ٨٢) ح ١٦٨٠٣، بسند حسن كما قال الشيخ شعيب الأرنؤوط محقق المسند. ينظر مسند أحمد تحقيق الشيخ شعيب ٢٧/ ٣٢١ هامش ٢، وكذا حسنه الشيخ الألباني في صحيح السيرة ص ٣٢

(٥٢) البزار، المسند (٨/ ٣٤٩) ح ٣٤٢٤

(٥٣) المعجم الكبير للطبراني (٢/ ١٨٢) ح١٥٥٦

(٥٤) الحاكم، المستدرك (١/ ٦٥٦) ح١٧٧٢

(٥٥) مفاتيح الغيب للرازي (٦٠٦) م - (ج ٢٧ / ص ١٦٣)

(٥٦) البيضاوي، أنوار التنزيل،(٣/ ١٥٤)

(٥٧) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية (١/ ٣٩٣)

(٥٨) هو: عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكنانى المكى الذى ينسب إليه الحيدة في مناظرته لبشر المريسى ولم يصح إسناد كتاب / الحيدة إليه، فكأنه وضع عليه، وكان يلقب بالغول لدمامته. وذكر داود الظاهرى أنه صحب الشافعي مدة. وله تصانيف. الذهبي، ميزان الاعتدال (٢/ ٦٣٩)

(٥٩) هو:الحَكيمُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ التِّرْمِذِيّ الإِمَامُ، الحَافِظُ، العَارِفُ، الزَّاهِدُ، وَكَانَ ذَا رحلَةٍ وَمَعْرِفَةٍ، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ وَفضَائِل. وَلَهُ حَكَم وَمَوَاعِظ وَجَلاَلَة، لَوْلاَ هَفْوَةٌ بَدَت مِنْهُ (ت في حدود٣٢٠هـ) الذهبي، سير أعلام النبلاء (٢٥/ ٤٤٩).

(٦٠) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠/ ٢٢٨)

(٦١) تفسير ابن كثير / دار طيبة (٥/ ٤٨٤) وينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم (٦/ ١٤٣)، الزمخشري، الكشاف (٢/ ٣٣٥)

(٦٢) الحاكم، المستدرك (١/ ٤٥٨) ح ١٦٨٣ وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَلَهُ شَاهِدٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِ.

(٦٣) البخاري، الصحيح،كتاب التفسير، باب تفسير سورة { تبت يدا أبي لهب } (٤/ ١٩٠٢) ح٤٦٨٧

(٦٤) البخاري، الصحيح،كتاب التفسير، باب تفسير سورة الشعراء (٤/ ١٧٨٧) ح٤٤٩٢

(٦٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى (١/ ٢٠٠)

(٦٦) القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١٩/ ٨٦)

(٦٧) الرازي، مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٨)

(٦٨) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج ٢٠ / ص ٩٩)

(٦٩) الترمذي، الجامع، كتاب المناقب، باب فضل مكة (٥/ ٧٢٢)ح ٣٩٢٥ وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح

(٧٠) الرازي، مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٨)

(٧١) ابن كثير، الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم (ص: ٧٥)

(٧٢) أبو هلال العسكري،(الفروق اللغوية(١ / ٣٩٣)

(٧٣) ثعلب، مجالس ثعلب،(٢/ ٣٩٨)

(٧٤) ثعلب، مجالس ثعلب،(٢/ ٣٩٨)

(٧٥) مصنف ابن أبي شيبة (١١/ ٤٣١)

(٧٦) مسلم، الصحيح، كتاب الفضائل، باب فضائل فاطمة رضي الله عنها (٤/ ١٩٠٣) ح (٢٤٤٩)

(٧٧) ينظر تفصيل ذلك: الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١١/ ٢٩).

(٧٨) نسبه إليه الثعلبي في الكشف والبيان (١٠/ ٢٢٨)

(٧٩) المفردات ص٢١٤

(٨٠) جامع البيان، ج١٩ ص٥٨٩

(٨١) روح المعاني،ج٢٠ ص٩٦

(٨٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٦٢٠

(٨٣) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠/ ٢٢٨)

(٨٤) البطليوسي، الإنصاف (ص: ٣٧)

(٨٥) إصلاح الوجوه والنظائر ص ٢٩٢

(٨٦) ينظر: جامع البيان، ج١٥ ص ٥٦٣، زاد المسير ج٤ ص١٨٣)

(٨٧) جامع البيان، ج١٦ ص ٢٥٦، وينظر: زاد المسير ج٤ ص٢٨٦

(٨٨) الشنقيطي، أضواء البيان (٦/ ٩١)

(٨٩) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠/ ٢٢٨)

(٩٠) البخاري، الصحيح، كتاب التفسير، بَابُ {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} [الضحى(٦/ ١٧٢) ح ٤٩٥٠

(٩١) البخاري، الصحيح، كتاب التفسير، بَابُ {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} [الضحى(٦/ ١٧٢) ح ٤٩٥١

(٩٢) البخاري، الصحيح، كتاب الإيمان، بَابٌ: الصَّلاَةُ مِنَ الإِيمَانِ، (١/ ١٦) ح ٤٠

(٩٣) الثعلبي،الكشف والبيان،(١٠ / ٢٢٩)

(٩٤) البخاري، الصحيح، كتاب التفسير،باب قوله { فأذا قرأناه فاتبع قرآنه } (٤/ ١٨٧٧) ح٤٦٤٥

(٩٥) جامع البيان (تفسير الطبري) (١/ ٧٣)

(٩٦) الماوردى، النكت والعيون (٦/ ٢٩٤)

(٩٧) ابن جزيء، التسهيل لعلوم التنزيل (ج ٣ / ص ٣٣٥)

(٩٨) ابن هشام، السيرة النبوية،٢/ ١٦٤ . والحديث صحيح كما عند الشيخ الألباني، السلسلة الصحيحة ح٣١٩٠.

(٩٩) أحمد، المسند والترمذي، الجامع، وقَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(١٠٠) الطبري، جامع البيان (١٥/ ٥٧)

(١٠١) الرازي، مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٨)

(١٠٢) الطبري، جامع البيان (١٤/ ٣١٥)

(١٠٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٠٠)

(١٠٤) البخاري، الصحيح، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، (١/ ٤٦٥)ح١٣١٩

(١٠٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٩٩)

(١٠٦) سبل الهدى والرشاد (٢/ ١٤٧)

(١٠٧) ابن حبان، الصحيح (١٤/ ١٦٩)

(١٠٨) الرازي، مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٨)

(١٠٩) البخاري، الصحيح، كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه و سلم من الوحي الرؤيا الصالحة (٦/ ٢٥٦٠)ح٦٥٨١

(١١٠) ينظر:ابن حجر، فتح الباري (١٢/ ٣٥٩)، الألباني، السلسلة الضعيفة (٣/ ٥٤) و (١٠/ ٤٥٢)

(١١١) الرازي، مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٨)

(١١٢) الثعلبي، الكشف والبيان (ج ١٤ / ص ١٣٨)

(١١٣) البخاري، صحيح، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء (١/ ١٣٤) ح ٣٤٨

(١١٤) البخاري، صحيح، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٣/ ١١٧٣) ح٣٠٣٥

(١١٥) الكناني، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ٢ (ص: ١٨٢)

(١١٦) ابن الجوزي، الموضوعات (١/ ٢٨٦)

(١١٧) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية (ج ١ / ص ٣٩٣)

(١١٨) البيضاوي، أنوار التنزيل (ج ١ / ص ٥٧٨)، أبو السعود، إرشاد العقل السليم (ج ١ / ص ٢٧٠)

(١١٩) أبو حيان، البحر المحيط (ج ٣ / ص ١٠٤)

(١٢٠) الرازي، مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٨)

(١٢١) الإيجي، المواقف (٣/ ٤٤٢)

(١٢٢) البخاري، الصحيح ـ كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط (٢/ ٩٢١) ح٢١٤٣

(١٢٣) البخاري، الصحيح ـ كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم (١/ ٣) ح٣

(١٢٤) البخاري، الصحيح ـ كتاب العتق، باب هدية ما يكره لبسه(٢/ ٩٢١) ح٢٤٧١

(١٢٥) البيهقى، دلائل النبوة (١/ ١٤٦) دلائل النبوة. البيهقى (١/ ١٣٩)

(١٢٦) ابن عساكر، تاريخ دمشق (٣/ ٤٧٩)

(١٢٧) أبو يعلى، المسند (٣/ ٥٤)، والحاكم، المستدرك (٢/ ٦٥٩) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والبيهقى، دلائل النبوة (١/ ١٥١)،

(١٢٨) ينظر تفصيل القول في ذلك الألباني، السلسة الضعيفة (١٤/ ١٠٥)

(١٢٩) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، (٣١/ ١٩٨)

(١٣٠) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، (٣١/ ١٩٨)

(١٣١) ينظر: سبل الهدى والرشاد (٢/ ١٤٠)، ابن سيد الناس،عيون الأثر، ١/ ٦١-٦٣، والمقريزي، إمتاع الأسماع، مخرجه الأول إلى الشام ص ١٤

(١٣٢) المقريزي، إمتاع الأسماع، مخرجه الثاني إلى الشام في تجارة خديجة ص: ١٧

(١٣٣) الكشف والبيان

(١٣٤) الطوسي، التبيان في تفسير القرآن (ج ١٤ / ص ٣٢٣)

(١٣٥) الرازي، مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٨)

(١٣٦) الزجاج، إعراب القرآن ص٣٤٢

(١٣٧) الأصبهاني، دلائل النبوة (ص: ٢١٦)

(١٣٨) ينظر أقوال النقاد في تكذيبه. ابن حجر، تهذيب التهذيب ٩/ ١٥٧

(١٣٩) ابن عدي، الكامل ٢/ ٧١

(١٤٠) ابن حجر، فتح الباري (١١/ ٦٠٣)

(١٤١) الرازي، مفاتيح الغيب (٣١/ ١٩٨)

(١٤٢) مسلم، الصحيح، كتاب الصلاة، بَابُ مَا يُقَالُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ(١/ ٣٥٠) ح ٤٨٦

(١٤٣) الترمذي،الجامع، كتاب (٥/ ٥٦١)

(١٤٤) الشامي، سبل الهدى والرشاد (٣/ ٦٥)

(١٤٥) انظر شرح نهج البلاغة (١١/ ١٠٨)

(١٤٦) الحوالي، شرح العقيدة الطحاوية، ص ٢٢٧ طبعة المكتبة الشاملة.

(١٤٧) القرطبي،الجامع،١٠/ ١٦٤.وهو يشير إلى حديث رواه أبو يعلى في مسنده –وغيره–(٤/ ٤١ ح٤٠٧١) من طريق جابربن عبدالله مرفوعا بسند حسنه ابن كثير بطرقه وشواهده وهو كما قال.ينظر البداية والنهاية (٣/ ١٤)

فهرس المصادر والمراجع:

١. الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٣٠هـ) دلائل النبوة، تحقيق: محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٢. الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم(٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، دار العلم - الدار الشامية، دمشق ـ بيروت، ١٤١٢ هـ.

٣. الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح (ت١٤٢٠ هـ)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف - البلد: الرياض - المكلة العربية السعودية، ط١: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٤. الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، المكتب الإسلامي- بيروت، ط ٣، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٥. الألوسي، محمود أبو الفضل(ت١٢٧٠ هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٦. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي(ت ٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٧. البطليوسي، عبد الله بن محمد بن السيد(ت٥٢١ هـ)، الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر – بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

٨. البغوي محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٦ هـ)، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع،ط٤، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٩. البقاعي، أبي الحسن إبراهيم بن عمر(ت٨٨٥ هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

١٠. البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر (ت ٦٨٥هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق المرعشلي، دار احياء التراث – بيروت.

١١. البيهقي،أحمد بن الحسين بن علي الخراساني، أبو بكر (ت ٤٥٨ هـ)، دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطى قلعجي، دار الكتب العلمية ـ ودار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.
١٢. الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة، أبو عيسى (ت ٢٧٩هـ)، الجامع، تحقيق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر،ط٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
١٣. الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٧٥هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.
١٤. ثعلب، يحيى بن أحمد ثعلب، أبو العباس(ت٢٩١ هـ)، مجالس ثعلب، تحقيق: عبد السلام هارون. دار المعارف -١٩٦٠م.
١٥. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم النيسابوري(ت٤٢٧ هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ١٤٢٢ هـ..
١٦. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي(ت ٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير المكتب الإسلامي – بيروت،ط٣، ١٤٠٤هـ..
١٧. الحاكم، محمد بن عبدالله أبو عبدالله النيسابوري(ت ٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية - بيروت،ط١، ١٤١١ هـ- ١٩٩٠م.
١٨. ابن حبان، محمد بن حبان أبو حاتم، البُستي (ت ٣٥٤هـ)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت،ط٢، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٣م.
١٩. ابن حجة، أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي(ت ٨٣٧ه)، طيب المذاق من ثمرات الأوراق، تحقيق: أبو عمار السخاوي، دار الفتح - الشارقة، ١٩٩٧م.
٢٠. ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني(ت ٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
٢١. ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني، تهذيب التهذيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

٢٢. ابن أبي حديد، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد المعتزلي (ت٦٥٦ هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٢٣. ابن حنبل المؤلف: أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني(ت ٢٤١هـ)، المسند، مؤسسة قرطبة – القاهرة.

٢٤. أبوحيان، محمد بن يوسف الأندلسي(ت٧٤٥ ه)، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر ـ بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٢٥. الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم أبو الحسن، (ت ٧٤١هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت،ط١،١٤١٥ هـ.

٢٦. الذهبي، محمد بن أحمد أبو عبد الله، سير أعلام النبلاء(ت٧٤٨ ه)، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة.

٢٧. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي(ت٦٠٦ هـ)، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٨. الزجاج، إبراهيم بن السري، أبو إسحاق(ت في حدود ٣١٠هـ)، إعراب القرآن، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية وآخرون – القاهرة – ١٩٨٢م.

٢٩. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، دار الكتاب العربي ـ بيروت، ١٤٠٧ هـ.

٣٠. زيد، أحمد بن زيد، تصحيح أخطاء الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل في لايدن بهولاندا، تقديم الدكتور عبد العزيز التويجري، مدير المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، د.ط- د،ن.

٣١. ابن سحاق، محمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥١هـ)، سيرة ابن إسحاق (المبتدأ والمبعث والمغازي)، تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث.

٣٢. ابن سعد، محمد بن سعد أبو عبد الله البصري (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى،تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ط ١، ١٩٦٨ م.

٣٣. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر(ت ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة.
٣٤. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت ٩٨٢هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٣٥. الشلبي، عبد الجليل، رد مفتريات المبشرين على الإسلام، لشلبي، دار المعارف – الرياض، ط٢، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م.
٣٦. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع- بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٣٧. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد(ت١٢٥٠ هـ)، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، تحقيق: عبد الرحمن يحيى المعلمي، المكتب الإسلامي - بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
٣٨. ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم العبسي أبو بكر (ت ٢٣٥هـ)، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤٠٩ هـ.
٣٩. الصالحي، محمد بن يوسف الصالحي الشامي(ت٩٤٢ هـ)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.
٤٠. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد الآملي، أبو جعفر (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٤١. ابن عادل، أبو حفص عمر بن على الدمشقى الحنبلى(ت بعد سنة ٨٨٠ هـ)، تفسير اللباب، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٤٢. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت،ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٤٣. ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، ١٤١٩ هـ.

٤٤. ابن عدي، أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.

٤٥. ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت ٥٧١ ه (، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الفكر –بيروت.

٤٦. العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل أبو هلال (ت نحو ٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

٤٧. ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي المحاربي أبو محمد (ت ٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز،تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ.

٤٨. الغزالي، محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد (ت ٥٠٥هـ)، المستصفى، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٤٩. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري أبو محمد (ت ٢٧٦هـ)، تأويل مختلف الحديث، المكتب الاسلامي - مؤسسة الإشراق، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٥٠. القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي أبو عبد الله (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش: دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

٥١. القرطبي، أحمد بن عمر بن إبراهيم(ت ٦٥٦هـ)، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم،تحقيق: محي الدين مستو وآخرون، دار ابن كثير - دار الكلم الطيب، ط١، ١٩٩٦ – ١٤١٧.

٥٢. ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي أبو الفداء (ت٧٧٤ هـ)، تفسير القرآن العظيم،تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
٥٣. ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي أبو الفداء (ت٧٧٤ هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٥٤. مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي؛ دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٥٥. المطيري، عبدالمحسن بن زبن بن متعب، الطعن في القرآن الكريم و الرد على الطاعنين في القرن الرابع عشر الهجري، رسالة لنيل درجة الدكتوراة، إشراف: أ.د / إبراهيم عبدالرحيم، جامعة القاهرة- كلية دار العلوم قسم الشريعة الإسلامية. من مطبوعات المكتبة الشاملة.
٥٦. المقريزى، تقى الدين أحمد بن على(ت ٨٤٥)، إمتاع الأسماع بما للنبى من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسى، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٥٧. النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود أبو البركات (ت ٧١٠هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل،تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٥٨. ابن هشام: عبد الملك بن هشام الحميري أبو محمد(ت: ٢١٣هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل - بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
٥٩. الهندي، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن العثماني(ت: ١٣٠٨هـ)، إظهار الحق، تحقيق: الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية،ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
٦٠. أبو يعلى: أحمد بن علي بن المُثنى التميمي، الموصلي (ت ٣٠٧هـ)، المسند، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق،ط١، ١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤م.
٦١. أبو يعلى القاضي، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (ت ٤٥٨هـ)، العدة في أصول الفقه، تحقيق: أحمد بن علي بن سير المباركي،ط٢، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.